6 me Année, No . 253

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 9 - 5 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــــدد ٢٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ ربيع أول سنة ١٣٥٧ — ٩ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

مصطفى صادق الرافعى

بمناسبة ذكراه الأولى



فى مثل هذا اليوم من العام المنصرم سكن لسان وجف قلم وانقطع وحى . وفقد البيان الملهَم والفكر المنير خسارة إنسانية لا يسهل العوض منها ولا العزاء عنها . والرافعى وأمثاله من عباقرة العلم والأدب والفن والمال ، ثروة من ثَرَوات الأمم لا تُكتسب بالحيلة ولا بالإرث ، وإنما هى نفثات من روح الله تنسِم على الأنفس المختارة فتجمل طبيعتها بين النوُر والطين ، ومنزلتها بين السماء والأرض ، ورسالتها رفع الناس إلى الملائكة بالمجد ، وتنزيل الملائكة على الناس بالخير . فإذا جاء أجلهم عاد ذلك النور الإلهى إلى مصدره ، وهو أشد مايكون نزوعاً إليه وعلوقاً به ؛ ثم لا ينبثق مرة أخرى

إلا حين يأذن الله لخليقته أن تهتدى ولأرضه أن تصلح

لذلك كان أسى الأمم الذاكرة الشاعرة على نوابغها أسى خالداً يستمر فى ذكراتها، ويتجدد فى ذكرياتها، ثم يتردد على عواطفها كلما صبت إلى أمام فلم تجد الهداة، وهفت إلى فوق فلم تجد الأجنحة

على أن النابغ فى أمم الشرق يعيش وكأنه لم يولد، ثم يموت وكأنه لم يعش. ذلك لأن الحياة فيها لا تزال نوعاً من السكر الغليظ يذهل الناس عن الوجود أكثر العمر، فاذا أفاقوا — وقليلاً ما يفيقون — عربد بعضهم على بعض!

كذلك عاش الرافعى ومات! وكذلك يعيش أشباهه ويموتون! وما حيلة الزهرة الفواحة إذا أنبتها القدر القاهر فى قفار الأرض بين سَفْى الرمال ولفح السمائم؟

* * *

رحم الله الرافعى لقد كان فى الكتابة طريقةً وحده! وحسب الكاتب مزية ألا يكون لأسلوبه ضريع فى الأدب كله. فاذا قيل لك إن الرافعى قديم الأسلوب فى التفكير والتعبير فاحمل ذلك على الحسد الذى لا حيلة فيه، أو على الجهل الذى لا حكم معه. وتستطيع أن تتحدى من تشاء أن يدلك على كاتب يترسم الرافعىُّ مواقع قلمه أو قدمه. إنما هى شنشنة من ضعاف المَلَكة وقاصرى الأداة، يرمون من يجيد لغته بالتخلف، ومن يتعهد كلامه بالتكلف، ومن يؤثر أدبه بالمحافظة

أسلوب الرافعى يمتاز بالسلامة والسلاسة والإيجاز والعمق. وهذه المزايا نتائج حتمية لاكتمال عدته وغزارة مادته وصفاء ذوقه وذكاء فهمه. وأشد ما يروعك منه قوة الفن وحركة الذهن. فأما قوة الفن فهى الأستاذية التى تخلق المادة، وتصنع القالب، وتضع اللفظ، وتحدد الرسوم، وتوضح الفروق، وتتصرف بمفردات اللغة تصرف المصور البارع بألوان الطيف، وتخيّل إليك أن الصناعة طبع والمعاناة سليقة. وأما حركة الذهن فهى حركة الغواص الدائب لا يقف عند السطح، ولا يستقر على القاع، وإنما يضرب بيديه القويتين فى أغوار البحر، وقد انقطع عن شواغل الناس بالعين والأذن. على أنها حركة الروية لا حركة العبقرية؛ فمعانيه تقطر ولا تفيض، ولكنها على طول الرشح واعتصار القريحة تصبح منهلا طامي الجوانب صافى المورد

كان يحمل الفكرة فى ذهنه أياماً يعاودها فى خلالها الساعة بعد الساعة بالتقليب والتنقيب والملاحظة والتأمل، حتى تتشعب فى خياله وتتكاثر فى خاطره؛ ويلون هو لكثرة النظر والإجالة قد سما فى فهمها على الذكاء المألوف. فإذا أراد أن يعطيها الصورة ويكسوها اللفظ، جلاها على الوضع الماثل فى ذهنه، وأداها بالإيجاز الغالب على فنه، فتأتى فى بعض المواضع غامضة ملتوية وهو يحسبها واضحة فى نفسك وضوحها فى نفسه. وذلك عيب المروِّين من صاغة الكلام وراضة الحكمة، كابن المقفع والمتنبى، وبسكال وبول ڤاليرى. ومنشأ ذلك العيب فيهم أنهم يطيلون النظر ويديمون الفكر ويعمقون البحث حتى تنقطع الصلة بين عقولهم وعقل القارىء، وتتسع المسافة بين معانيهم وألفاظ اللغة، فيكتبون وأفهامهم سابقة سبوق الروح، وأقلامهم متخلفة تخلف الجسم. ويزيد فى هذا الغموض أن سعة العقل فى النوابغ تستلزم ضيق اللسان. فلا ترى الفضول والثرثرة والرغوة والغثاء إلا حيث يضحَل الذهن ويقصر النظر وتنزر المادة. والرافعى كان يقتصد فى أسلوبه، لأنه ينفق عليه من جهده ومن ذوقه ومن فنه ما يجعله أشبه بومضات الروح ونبضات القلب ونفحات العافية. فهو يفصل اللفظ على قدر المعنى تفصيل (المودة) الفاشية اليوم؛ يقصُر ولا يطول، ويضيق ولا يتسع، ولكنه على ضيقه وقصره يظهر الجسم الجميل على أتم ما يكون حسناً وأناقة

وهو بعد ذلك أسلوب جيد التقسيم سليم المنطق، إلا أنه بعيد الإشارة يستسر جماله على القارئ العجلان والفهم البطيء. فإذا روّى فيه الناقد المتذوق انكشف له فى كل كلمة سر، وطالعته فى كل فقرة آية. ولعل النفس الشاعرة لاتجد فيه من أنوثة العاطفة ما تجده النفس المنطقية من فحولة الفكرة. ومرجع ذلك فى الرافعى غلبة الفكر على الشعور، وسطوة الفن على الطبيعة...

(للكلام بقية) **احمد حسن الزيات**

البحث عن غــــد

للأستاذ عباس محمود العقاد

- ٣ -

كان مستر « روم لاندو » على صواب فى اهتمامه بالناحية الروحية من حياة الشرق الأدنى فى العصر الحاضر ؛ وقد أحسن تعليل هذا الاهتمام حين قال فى مقدمة كتابه : إن الشرق الأدنى هو الذى رسم للعالم الإنسانى مجراه فى طريق الحضارة والتهذيب . فلو خلت الدنيا من ثلاث « قارات » كاملة لما تغيرت ثقافتها الروحية إلا قليلاً ، ولكنها لو خلت من أم البقاع المحصورة بين البحر الأبيض والبحر الأحمر والخليج الفارسى ، لكانت أديانها غير هذه الأديان ، وآدابها غير هذه الآداب ، وثقافتها غير هذه الثقافة ، ومعانى الحياة والمثل العليا فيها غير ما نعلمه من معانيها ومثلها العليا فى عصرنا الحديث

قال : « نعم حدث فى القرن الخامس عشر بعد كشف أمريكا وإخراج العرب من الأندلس أن المحور قد تحول نحو الأقطار الغربية ، ولكن الأمر لم يحتج إلى أكثر من ثلثمائة سنة لاتجاه « الرقاص » إلى الشرق من جديد . وجاءت حملة نابليون المصرية وما وراءها من آماله فى الهند وما نجم عنها من كشف الحضارة المصرية التى طال العهد بنسيانها فأنشأت عهداً جديداً له شأنه وخطره فى بلاد الشرق الأدنى »

ونحن الشرقيين يحق لنا أن نغتبط بما لبلادنا من الشأن الحاضر أو المنظور فى حياة العالم الروحية ، ولكننا خلقاء ألا ننظر إلى الأمور بالعين التى ينظر بها الغربيون ، فإنهم بالفنون ولا ريب فى استضعاف شأن الحياة الروحية كما يرونها فى أنحاء أوربا وأمريكا ، لأنهم سئموها وعالجوا أكاذيبها ومواطن القصور منها ، فكان استضعافهم إياها داعياً إلى التحول بالرجاء إلى غيرها ، وكان من جراء ذلك هذا الاقبال على مسائل الشرق الأدنى ولا سيما المسائل الروحية . وقد وجد بينهم أناس تحولوا إلى الشرق الأقصى والهند خاصة لتعليل أنفسهم بشىء من الرجاء وشىء من الثقة واليقين ، فهى حيرة تهديهم تارة إلى هنا وتارة إلى هناك .

ولا ينبغى لنا أن نجعل هذه الحيرة مقياسنا ومعيارنا فى تقويم ما لنا من قيمة ، وعرفان ما لنا من وزن وأمد . ونعتقد نحن خلافاً لما يعتقده بعض الأدباء الأوربيين أن البلاد الغربية ليست من النضوب الروحى بالحال التى يتخيلونها ، وليست من الركون إلى المادة والضرورات العملية بالوضع الذى يضعونها فيه . وينفعنا نحن الشرقيين أن نذكر ذلك لأننا محتاجون إلى بقية باقية فى الغرب من زاد الروح والذهن والخيال ، فإذا اعتقدنا فى الغرب النضوب والاقفار فلا ربح فى ذلك لنا بل فيه الخسارة والفوات لا جدال

لنا أن نعرف قيمتنا ، ولكن ليس لنا أن نجهل قيمة غيرنا . ومن الحسن أن نحيط بما يكتبه الأجانب عنا لأنهم يرون ما يخفى علينا أحياناً من أحوالنا وخطواتنا لفرط الألفة وتكرار النظر بغير انقطاع ، كما يعرف المسافر العائد إلى أبنائه كم طالوا وكم كبروا وهم لا يلتفتون إلى ذلك . ولكن المرجع إلينا آخر الأمر فى الشعور بحقيقتنا ، والنفاذ إلى سريرتنا ، والمقابلة بين أمسنا وغدنا . ولا ضير فى قليل من الثقة — بل قليل من الغرور — يزيد على المقدار ، فإن المبالغة فى الثقة خير من المبالغة فى فقدها على كل حال

* * *

وصاحب كتاب « البحث عن غد » رجل يشعر بالإسلام والشرق الأدنى شعور المودة والترفق ، ولا يتعصب عليهما أو يتعصب لأعدائهما . فهو من ثم غير متهم فى مقاصده ونياته ، وغير بعيد عن أسباب الفهم الصحيح والحكم العادل ، ولكنه ينشد الحقيقة على طريقته العاجلة التى يتسع لها وقته فى رحلاته الكثيرة ، فهو أقرب إلى الأنباء الصحفية منه إلى المباحث العقلية والدروس العلمية أو الفلسفية . وهكذا ينبغى أن نتلقى آراءه وأحكامه ، وننظر إلى أغراضه ومناحيه

قصد البحث عن حياتنا الروحية فماذا صنع ؟ ذهب إلى السفارة المصرية فى العاصمة الانجليزية وتسلم منها كتب التوصية المعهودة وأسماء الأفراد المعهودين !! ولو قيل للمستر « روم لاندو » إن مصرياً أراد البحث فى حياة انجلترا الروحية فذهب إلى السفارة البريطانية ليسألها عن وجهات الفكر والروح فى بلادها لابتسم وأدرك نتيجة البحث لأول وهلة ، ولكنه رجل صحفى أو شبيه بالصحفيين ، فهذه أقرب الوسائل إلى إنجاز عمله وجمع المادة اللازمة

لتأليفه . وكذلك كان فى كتبه السابقة حينما تناول الأقطاب الروحيين القيمين فى باريس أو لندن أو نيويورك : سبيله إليهم كسبيل الصحفيين إلى الحادثات وجمع المعلومات

لو ذهب مصرى إلى السفارة البريطانية يسألها عن رجال الفكر والروح والخيال من الانجليز لما ذكرت له اسم لورنس أو اسم موجهام ، ولعلها لاتذكر له حتى اسم برناردشو ومن إليه من الأدباء الذين لايلتزمون التقاليد ولايدخلون فى السجلات الرسمية . وهى لاتهمل ذكرهم لأنها تجهلهم أو تستخف بأثرهم بين قرائهم ، ولكنها تهملهم لأن وظيفتها توجب عليها أن تلتزم التقاليد ولاتعترف بماوراءها من وجهات الأفكار ومذاهب الضمائر

ومن المعقول أن تسأل السفارة أو وزارة الخارجية فى إنجاز عمل أو الارشاد إلى من ينجزه ويتولى تسهيله . أما الارشاد إلى نزعات الفكر والروح ، فالسفارات والوزارات لاتتولاه وإن عرفت طريقه ، لأنها لاتدل على شيء إلا كان داخلا فى حدود المرسومات المحدودة ، حتى لو ظهر عليه لون من الشذوذ

ولهذا لانعجب أن يتحدث الكاتب عن « قدم المادة » وماقيل عنها فى الجامع الأزهر كأنه فتح جديد فى تفكير المسلمين ، مع أن المسلمين يعرفون مذاهب القائلين بالقدم والحدوث منذ مئات السنين . ومع أن المفكرين المعاصرين لا يحفلون بقدم المادة وحدوثها ولايشغلهم من صفاتها شيء أهم من هذه الصفة التى تجلى عنها البحث فى الاشعاع والتقريب بين المادة والقوة بهذه المثابة حتى أصبحت وكأنها معنى من المعانى وعدد من أعداد الرياضة والحساب

فلو أن « الباحث عن غد » وصل إلى الجامع الأزهر ووجد فيه البحث قائماً على اختلاف هذه الفروض فى كنه المادة لجاز له هذا الدهش الذى أفرط فيه حين علم عما قيل عن قدم المادة من قول صحيح أو غير صحيح . أما الدهش لأمر تكلم فيه المسلمون قبل ألف سنة فماذا فيه من البحث عن غد؟ وماذا فيه من النزوع إلى الجديد ؟

كذلك يغلو الكتاب الأوربيون على هذه الشاكلة فى قياس الحركات الذهنية بما تثيره من الضجيج بين رجال الدين أو بين طلاب المعاهد الدينية . ومن ذلك مثلاً اعتقادهم أن الأستاذ على عبد الرازق قد غير فى قواعد الدين يوم قال إن الخلافة ليست من مراسم الاسلام . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد إلا لأنهم حسبوا أن الضجة التى أثيرت حول كتابه كان مبعثها التعصب والغيرة على الدين . ولم يعرفوا الحقيقة التى يعرفها معظم المصريين ، وهى أن السياسة لعبت لعبتها فى هذه المعمعة من مبدئها إلى منتهاها . فلو أن الأستاذ على عبد الرازق أعلن رأيه قبل بضع مئات من السنين يوم كان الأمراء المصريون يسعون فى إضعاف الخلافة لقوبل كتابه بالترحيب والمكافأة الجزيلة . ولو أن المسألة مسألة قديم وجديد وتغيير فى الأصول الدينية لكان الأولى أن يثير من الغضب يومذاك أضعاف ما أثاره فى عصرنا هذا ، ولكنها مسألة لها موقعها من السياسة ومن مآرب العيش عند بعض الناس فكان من جرائها ما كان

لهذا نقول إن حكم الأوربيين ولا سيما المستشرقين على شؤون مصر وشؤون الشرق العربى كافة أضعف الأحكام وأبعدها عن حساب العوامل الصحيحة والبواعث الخفية ، بل ربما كانت أبعدها عن البواعث الظاهرة فى كثير من الأحيان . وما كتبهم فى هذه الأغراض إلا طائفة من « الكتالوجات » على طراز آخر غير الطراز التجارى أو الطراز السياسى ، ولكنه مثله فى الجوهر وطريقة التحضير

ونخص المستشرقين بالخطأ مع أنهم أحرى أن يقتربوا من الصواب ويرجحوا إخوانهم الأوربيين الآخرين بمعرفة اللغة والاطلاع على التاريخ ، إذ الواقع أن « الاستشراق » قد نشأ قديماً فى بيئة التبشير ولا تزال فيه جذوره ومراميه ؛ وكل ما يعنى المبشرين هو مراسم الدين وتقاليد المساجد والكنائس والعبادات . فاذا نشبت مشاجرة فى مسجد أو كنيسة فذلك أدنى إلى ملاحظتهم من اختلاف مقاييس الفكر ودعائم الضمير ، لأنهم هم أنفسهم يعيشون فى هذه البيئة وما يحاذيها من طبقات الأدب وطبقات التفكير ، فهم معرضون لأخطاء أعظم من التى يتعرض لها الأوربيون الجاهلون بلغات الشرق وتواريخه الأدبية ، لأنهم ينظرون مغرضين وفى أعينهم قصر وعلى أعينهم غشاوة لا تميز الحقائق ولا تنفذ إلى ما وراء القشور

وعلى هذا يصح أن نحيط بما يكتبه الأوربيون عنا لنعرف منهم ملاحظاتهم التى تخفيها الألفة والنظر المتكرر إلى المتواتر من أحوالنا ، ولا يصح أن نقوم آراءهم وأحكامهم بأكبر من هذه القيمة أو نسومها بغير هذا السوام

عباس محمود العقاد

تأملات في الأدب والحياة

للأستاذ اسماعيل مظهر

المدنيات وبيئاتها

لكل مدنية من المدنيات بيئات عديدة، ومن هذه البيئات ما هو طبيعي فطري، ومنها ما هو اكتسابي

أما الطبيعي فكالموقع الجغرافي، وطبيعة الأرض وما يحيط بها من البحار، وما يتخللها من الأنهار، وما يبرز فوقها من الجبال، وما ينبسط فيها من السهول، وما ينزل بها من المطر، وما يهب عليها من الرياح، وما ينبت في الأرض من الأشجار، وما يتخلل جوها من الرطوبة، وما يذيع فيه من حرارة أو برودة. وأما الاكتسابي فكالمعتقدات العامة والشرائع الموروثة والأديان والعادات وطبيعة الحكم وصفة الحكومة وأخلاق الطبقة الحاكمة إلى غير ذلك

أما البيئة الطبيعية فقلما تتغير؛ وإن تغيرت فان تغيرها لا يتناول الجوهر الثابت، وإنما يتناول العرض، كازدياد هبوب الرياح أو قلة الأمطار أو تغير الطقس من جفاف إلى رطوبة؛ أو من حرارة إلى اعتدال، قد يؤثر في الأمزجة بعض الشيء؛ ولكن الأثر لا يتناول الطبع الثابت في الأنفس بما يغير من طابع مدنية أصيل في الجبلة. ذلك على العكس من البيئة المكتسبة، فان زوال معتقد من المعتقدات، أو انهيار دين من الأديان، أو شريعة من الشرائع، أو عادة من العادات، وحلول غيرها محلها، قد يلبس مدنية من المدنيات ثوباً جديداً ويدمغها بميسم له سمات خاصة. على أن هذه السمات قد تتكيف بما يلائم وحي البيئة الطبيعية، غير أنه يكون مختلفاً عن السمات التي تتسم بها المدنية في ظل معتقدات أو أديان أو شرائع انهارت وقامت أخرى على آثارها

على هذا نستطيع أن نقضي بأن انحلال المدنيات، إنما يتناول بيئاتها المكتسبة، لأن انحلال بيئاتها الطبيعية مستحيل تقريباً. أما السبب في أن تظل شعوب أزماناً طويلة في ركود بعد انحلال طور من أطوارها المدنية، فيرجع في الغالب إلى انعدام المنبهات التي تبعث في الأنفس حب المجد والعظمة وعلو الذكر والسيادة العالية. وهذه صفات إن انحلت بانحلال وجه من وجوه المدنية فان بعثها يكون رهن ظروف لا يمكن التكهن بها

التفكير المستقل

« أرثر شوبنهور » فيلسوف ألماني ولد بمدينة دنتزج سنة ١٧٨٨، وتوفي سنة ١٨٦٠. ولقد كتب مؤلفات أشهرها وأعمقها كتابه « العالم إرادة وفكر » ولقد نال هذا الفيلسوف شهرته في مصر خاصة والشرق عامة بنظريته في القوة ونظريته في المرأة، إذ نزع إلى أفكار وتأملات ألبسته في الأذهان ثوباً من التطرف كانت له جدته وطرافته في عصر كنا فيه مقيدين بقيود تخلصنا من أكثرها في عصرنا هذا. غير أن لهذا الفيلسوف الفذ تأملات في الحياة والتفكير قلما عرفنا منها شيئاً. ومن أطرف ما خص بتأملات هذا الفيلسوف من نواحي الحياة ناحية الفكر المستقل، أو التفكير المستقل الذي يكون خالصاً لك من التأثر بأفكار الغير ونظرياتهم. ونقتطف هنا لقراء الرسالة فقرات من مقاله في هذا الموضوع وهو من أمتع ما كتب شوبنهور قال:

« كما أن أغني خزائن الكتب وأحفلها بالمؤلفات لا تكون مفيدة — إذا لم ترتب — فائدة أخرى قليلة العدد حسنة الترتيب. كذلك الحال في ما تحصل بالدرس من المعلومات، فإنها مهما غزرت وكثرت لا تفيدك إن أنت لم تصقلها بفكرك الخاص فائدة معلومات قليلة تعهدتها بالصقل والتأمل الطويل فيها. لأنك بالتأليف بين معلوماتك، ومقارنة كل الحقائق التي تقع لك مقارنة تفكير وعمق، إنما تستطيع أن تهضم المعارف التي تحصل عليها فتصبح ملكاً لك وضوع قوتك. فإن الانسان ينبغي له أن يدرس. ولكن ما يدرسه لا يصبح ملكاً خالصاً له إلا إذا فكر فيه وأطال التأمل له »

« إن الفرق بين الأثر الذي يحدثه التفكير الذاتي، والأثر الذي تحدثه القراءة في الفكر، كبير جهد الكبر. ذلك بأن التفكير الذاتي وحده هو الذي له القدرة على أن يمد آفاق الفكر في نواح مختلفة تزيد في قوة الابتكار في الذهن حتى يتسنى له أن يختار حراً طليقاً أي طريق يسلك، وينظر في أي جهة يختار »

« إن القراءة تفرض على الذهن أفكاراً ، هي بذاتها غريبة متنافرة بعيدة عن المتجه والمنحى الأصيل لفكر القارئ ؛ فيكون مثلها كمثل الخاتم أن يطبع الشمع بنقوشه الخاصة . وإن لذلك على العقل من الأثر ما يعادل أثر الأشياء الخارجية على الأجسام، فيظل العقل مضطراً إلى التفكير في هذا ساعة وفي ذاك أخرى ، من غير أن يكون له رغبة في الاكباب على التفكير في كليهما أو القدرة على استيعابهما . أما إذا مضى العقل يفكر لذاته فإنه إنما ينساق إلى التفكير في أشياء تفرضها عليه السليقة وتدعوه إليها الفطرة . وإنّ لي أن أقول إن كثرة القراءة تجرد العقل من مرونته . ومثلها في ذلك كمثل الثقل الثارز الشديد إذا وضع على فوّهة نبع فائض ، فإنه يثقله ويعيق جريانه . وعندي أن أقوى الوسائل التي تصد الفكر عن الوصول إلى الأفكار المبتكرة هي أن تلجأ إلى كتاب تقرأ فيه كلما أردت أن تنفق وقتاً أو تقطع مرحلة من فراغك . وهذا هو السبب في أنّ كثيراً من حملة الشهادات العليا يكون عادة أقل ذكاء وأكثر بلادة مما هم إذا تركوا على الفطرة »

« كرستوفر مارلو » وكتاب فوست

هو من كبار كتاب الدرامة من الانجليز ، وهو من المتقدمين على شكسبير . ولد في سنة ١٥٦٣ ، أو سنة ١٥٦٤ ، ودرس في كمبردج ثم هبط لندن واستقر بها . وله كثير من المؤلفات أهمها كتاب « فوست » الذي نسج على منواله جوته الألماني . ولعل كثيراً من القراء لا يعرفون أن لهذا المؤلف الانجليزي حظر السبق في صياغة تلك الدرامة العظمى التي خلدت اسم جوته في التاريخ ، وغشت على اسم مارلو بسحابة من النسيان . وننقل هنا قطعاً مما كتب « مارلو » عسى أن ينتبه بعض الأدباء إلى دراسة ذلك الرأى الأدبي الجليل :

فوست في حجرة درسه :

فوست — والآن ، أمن المحتوم أن تحل على فوست اللعنة ، وألا يكون من الناجين ؟ ماالذى يحملني إذن على أن أفكر في الله والسماء ؟ ألا بعداً لمثل هذه التخيلات الدينية ، ومرحباً باليأس ، باليأس من الله ، والثقة في بعل لا تتقهقر ، بل تشدد يافوست وكن قويّ الارادة . لماذا تضطرب ؟ ها هو ذا شيء يرن في أذني صداه . « أقلع عن هذا السحر وارجع إلى الله ثانية » ، أيرجع فوست إلى الله مرة أخرى ؟ إلى الله ! إنه لا يحبك . إن الله الذي ينبغي أن تخدم وتعبد ، إنما هو شهوتك الذاتية ، إذ فيها قد انغرس حب بعل وتأصل . وله سوف أشيد مذبحاً وكنيسة ، وأقرب له دم الأطفال فائراً حاراً

يدخل مَلَكان : مَلَك الخير ، وملك الشر

ملك الخير — فوست ! أقلع عن هذه المهنة الساقطة .

فوست — الندم . الصلاة . التوبة . ماعندك منها ؟

ملك الخير — نعم : إنها الأسباب التي تأخذ بيدك إلى السماء .

ملك الشر — إنما الأوهام ، وثمرات الجنة والمسّ ، هي التي تخالط العقل ، وتجعله أجنح إلي التصديق بها ، والاعتقاد فيها

ملك الخير — فوست ! فكر في السماء ، وفي أشياء السّماء .

ملك الشر — كلا يافوست ! بل فكّر في العزة والمال .

يخرج الملكان

فوست — في المال ! لِمَ ذا ؟ ان ضيعة إمبدن ستصبح ملكاً لي . ما الذي سيكون في مستطاع الله أن يفعل بي إذا ما أيّدني مفستوفيليس وأخذ بيدي ؟ إنك ناج يافوست . لا تكثر من شكوكك . تعالَ . تعالَ يامفستوفيليس ، وقص على أخبارك السارة عن إبليس العظيم . إن الليل لم ينتصف بعد . تعال . تعال يا مفستوفيليس !

يدخل مفستوفيليس

والآن خبرني ، ما الذى يقوله سيدك إبليس ؟

مفستوفيليس — قال إني سأكون في خدمة يا فوست طوال حياته ، على أن يشترى خدمتي له بثمن هو روحه .

فوست — إن فوست قد جازف فعلاً بهذا وبذلك

مفستوفيليس — ولكن تذكر يافوست أنك لابد من أن تهب روحك خالصاً ، وأن تكتب بالهبة صكاً يكون مداده من دمك ، فان هذا الضمان يطلبه إبليس العظيم . أما إذا رفضت فسوف أعود إلى جهنم .

فوست — تأنَّ يامفستوفيليس وخبرني : أي خير يستمد سيدك من روحي ؟

مفستوفيليس — يزيد بها ملكوته .

فوست — أهذا هو السبب فى أن يبلونا ويمتحننا كما يفعل ؟

مفستوفيليس — دعك من هذا وخبرنى هل أنال روحك لأكون لك عبداً وأقف على خدمتك وأضفى عليك من العطايا أكثر مما يصل إليه خيالك ؟

فوست — نعم . سأهبك إياها .

مفستوفيليس — إذن اطعن ذراعك بشجاعة ، وقيد روحك واعترف بأن من حق إبليس العظيم أن يستحوذ عليها يوماً ما لتكون له . وهنالك ستكون عظيماً كإبليس نفسه .

فوست — (يطعن ذراعه) مفستوفيليس ! حباً لك أقطع ذراعى ، وبدمى الصميم أسجل أن روحى أصبح ملكاً لإبليس العظيم ، للمَلك الأكبر المهيمن على دار الظلام المستديم . أنظر ! ها هو ذا الدم الذى يقطر من ذراعى ، لعل فيه كفاء لمرضى

مفستوفيليس — إنما هو لزام عليك أن تكتب به صك هبة

فوست — نعم . سأفعل . (ويكتب) غير أن دمى يتخثر سريعاً ، ولا أقدر أن أكتب به أزيد مما كتبت

مفستوفيليس — سأحضر لك قبساً من نار يحلله ويجعله صالحاً (ويخرج)

فوست — أى شىء ينذر به تخثّر دمى ووقوفه عن الاندفاق ؟ أينذر بأنه لا يريد أن يكون مداداً لكتابة هذا الصك ؟ لِمَ لا يعود إلى الجريان والتدفق حتى أقدر على تحرير الصك به ؟ « إن فوست يهبك روحه » : آه . عند هذا وقف دمى . ولكن لماذا لا تعقل يا فوست ؟ أليس روحك ملكاً لك ؟ إذن فاكتب ثانية — « إن فوست يهبك روحه »

(يدخل مفستوفيليس حاملاً جمرات ملتهبة)

مفستوفيليس — فوست ! هذه نار . تقدم وضعها على الدم

فوست — لقد أخذ الدم يصفو مرة أخرى . وإذن ينبغى لى أن أتم الأمرَ سريعاً (ويمضى فى الكتابة)

مفستوفيليس — (متعمداً) لم أتق من حيلة إلا أخذت بها لأنال روحه

فوست — لقد انتهى الصك ، ووهب فوست روحه لإبليس العظيم . ولكن أى أثر ذاك الذى انطبع على ذراعى ؟ أين أطير ؟ أين أذهب ؟ أإلى الله ! إنه سوف يلقى بى فى جهنم ؟ لقد غشتنى حواسى . ليس من شىء على ذراعى . ذلك ظاهر . لقد كان هنالك شىء مكتوب على ذراعى . أين أطير ؟ أين أذهب ؟

مفستوفيليس — سأبحث عن شىء يهدئ روحه ويرضى عقله . (يبتعد ثم يخرج)

* * *

هذه قطعة مما كتب « مارلو » الأديب الإنجليزى . ولا شك عندى أن فى خياله وسياقه لشبهاً بما كتب « جوته » . وأن مقابلة أدبية بين ما كتب الأديب الإنجليزى والخالد الألمانى ، لموضعاً للدرس ومجالاً لخلق صورة من الأدب حديثة

اسماعيل مظهر

باقة من الفلسفة الإسلامية

الفيلسوف ابن مسكويه

وكتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ولا ينبغى على أية حال أن نشكر له فقط محاولته إقامة نظام خلقى بعيد عن نزعات الدينيين وزهد المتصوفة ، بل ينبغى كذلك أن نسجل له ، فى الرسم الذى وضعه ، الذوق السليم والثقافة الواسعة » (دى بور)

نعرض اليوم بإيجاز لفيلسوف إسلامى أخرج للناس دستوراً إيجابياً أخلاقياً طريفاً قوامه المنطق الصحيح والذوق السليم ، بحيث لو تبعوه فى حياتهم لنالوا به السعادة الحق دنيا وأخرى . ونعنى به الفيلسوف « أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه » صاحب « كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، وهو الكتاب المعروف الذى نصح الإمام « محمد عبده » بتدريسه فى الأزهر إلى جانب الإحياء للغزالى ، والذى قام المرحوم « على باشا رفاعة » بنشره وتبويبه ، والذى شرع الزعيم الخالد « سعد زغلول » فى اختصاره والتعليق عليه دون أن يتمه

١ — عصره

عاش ابن مسكويه فى العصر العباسى الثالث أى فى العصر الذى يمتاز بشدة ضعف الخلافة العباسية وبقيام دويلات لا يعترف أكثرها للخليفة بغير السلطة الاسمية . ويهمنا من هذه الدويلات الدولة البويهية (٣٢٠—٤٤٧هـ) لأن ابن مسكويه عاش ومات فى كنفها . وكانت هذه الدولة مظهراً قوياً للنشاط الفارسى الذى كان يرمى إلى الانفصال عن حكم العباسيين واستعادة مجد الفرس القديم . وكان ملوكها يحبون العلم والأدب ولا يستوزرون أو يستكتبون إلا عظماء الأدباء كالمهلبى وابن العميد وابن عباد وغيرهم . وكانت مجالسهم أبداً حافلة بكبار الشعراء والعلماء والفلاسفة ومن على شاكلتهم . لذلك لا عجب أن يمتاز هذا العصر بنضج العلم ، وتكوين المعاجم اللغوية ، واستقرار الانشاء على أسلوب مثالى . ولا عجب أن تنمو الفلسفة وتزهر ، وتستقر قواعد الطبيعيات والطب ، ويتسع خيال الشعراء ، ويظهر الشعر الفلسفى ، وينمو فن التاريخ والجغرافيا ، ويظهر النقد الأدبى ، وتؤلف القصص المجازية ، وتنتشر المكاتب حاوية لألوف المخطوطات[1] » أجل ولا عجب أن يظهر أمثال ابن سينا وابن مسكويه والهمذانى والخوارزمي ، والمتنبى وأبى فراس والأصفهانى والقالى والثعالبي والتوحيدى والصابى والشريف الرضى والتنوخى والطبري

على أن الحالة الخلقية لذلك العصر لم تك لتساير الحالة العلمية رقياً ونجاحاً . ويلوح ذلك فى ميكيافيلية السياسة وعبث الكبراء والعظماء على السواء . وما بالك بحكم قاس عنيف يصلب ويثمل ويبتر ويستمع للوشايات والدناءات ، وتمتد يد بطشه وغدره إلى الوزراء والأمراء والسلاطين القريب منهم والبعيد ؟ وما بالك بعظماء وكبراء يقول « الثعالبي » فى أحد مجالس لهوهم : « أنهم أخذوا بفن من الانخلاع عجيب ، وبطريق من الاسترسال رحيب ! ؟ » ويقول فى مجلس آخر :

فكان الذى لولا الحياء أذعته ولا خير فى عيش الفتى إن تسترا !

وفى مجلس ثالث :

« ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره ، وقام كل منا يتعثر فى سكره[2] ! ؟ »

٢ — حياته

وعسير جداً أن تتلمس حياة ابن مسكويه فيما ترك من كتب أو فيما ذكر عنه الكتاب والمؤرخون . وكل ما قد استطعنا كشفه من المؤلفات والتراجم العديدة التى اطلعنا عليها هو أنه ولد حوالى عام ٣٣٠ هـ ومات فى ٩ صفر سنة ٤٢١ هـ (١٦ فبراير سنة ١٠٣٠ م) ، وكان مولده « بالرى » فى أسرة فارسية[3] ـــ

---

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم جورجى زيدان

(٢) ويروي صاحب شذرات الذهب أن الوزير المهلبي المتوفى سنة ٣٥٢هـ كان يجتمع عنده القضاة والفقهاء ليلتين فى الأسبوع ، وما فيهم إلا أبيض اللحية طويلها ، فاذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه خلعوا ثوب الوقار ، ووضع فى يد كل واحد منهم طاس من ذهب مملوء شراباً قطربلياً ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تشرب أكثره ، ثم يرش بعضهم بعضاً ويرقصون بأجمعهم ! ـ (ص٣٦٣ ج٢) — (أما أقوال الثعالبي الآنفة فباليتيمة)

(٣) ومعنى مسكويه بالفارسية « رائحة المسك » كما أن معنى سيبويه « رائحة التفاح »

شريفة . وسرعان ما يترك والده أمه فيبقى هو راعياً لها حتى تتزوج بغير أبيه فيتركها وينزح إلى بغداد شاباً . وهناك يتصل بالوزير « المهلبي » حوالى سنة ٣٤٨ هـ ويدخل فى خدمته ككاتم لسره ، ويبقى إلى جانبه ينادمه ويسامره حتى عام ٣٥٢ هـ وهو عام وفاة الوزير ؛ ومن ثم يعود إلى الرى حيث يلتحق بخزانة الوزير العظيم « ابن العميد » وينال ثقته ومحبته وصداقته ، ويبقى معه حتى عام سنة ٣٦٠ هـ لينتقل بعد وفاته إلى خدمة ولده الوزير « أبى الفتح » . وقد بقى فى خدمة هذا الشاب حتى تنكر له الدهر ودخل الوزير السجن سنة ٣٦٦ هـ . ثم التحق بعدئذ بخدمة الملك الظافر « عضد الدولة » الذى استولى على بغداد وغدر بسلطانها عز الدولة أشنع غدر ، كما التحق بعده بخدمة صمصام الدولة وشرفها حتى عام ٣٧٩ هـ ، وهو العام الذى دخل فيه فى خدمة « بهاء الدولة » واختص به وعظم قدره عنـده . وهكذا انتقل ابن مسكويه من خدمة وزير إلى سلطان حتى هرم وشعر بدنو الموت ، فانتقل كما يقول صاحب « روضات الجنان » إلى « أصبهان » حيث مات عام ٤٢١ هـ ، وحيث دفن فى « محلة خاجو » بقبر مشهور معروف ...

٣ — ثقافته وأخلاقياته

وقد تثقف ثقافة أدبية واسعة ، ونهل من مجالس العلم ومكتباته ، وعنى عناية خاصة بالأخلاق فدرس حكمها عند الفرس والعرب والهنود والروم ، وجمع ما راقه من هذه الحكم وأخرجه فى كتاب لا يزال مخطوطاً . هذا إلى أنه قرأ ما قد خلفه أرسطو وأفلاطون وجالينوس فى هذه الناحية ومحصه تمحيصاً . وكأنما دفعته تربيته العائلية السليمة ، وقلبـه الكبير الحى ، وتجربته الأليمة فى مجالس السلاطين والوزراء ، إلى إنقاذ عصره والعصور التى تليـه من السياسة الخرقاء والأخلاق المتلة ، فراح يقرأ فى الأخلاق ويؤلف ، ويخرج للناس كتباً فيها من المنطق الصحيح ما يهديهم إلى « كالعلم الإنسانى » ، ويأخذ بيدهم إلى طريق الفضائل والعلوم لتتم لهم السعادة التى ينشدونها عبثاً فى تلك الخيرات الوهمية الخارجية ، خيرات « الكون والفساد » . وقد تجلت هـذه النزعة فيما ترك من عهد عاهد فيـه نفسه « أن يجاهدها ويتفقد أمرها ما استطاع ، فيعف وتشجع ويحكم ، ويقتصد فى مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، ويحارب دواعى نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب فى غير موضعه ، ويستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شىء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتهـا التى هى العدالة[1] ... الخ » .. أقول تجلت هذه النزعة فى ذلك العهد الطريف ، وتجلت كذلك فى كتابه التاريخى المعروف « تجارب الأمم وعواقب الهمم » وهو الكتاب الذى فضح فيه بجرأة وصراحة الكثير من رذائل السلاطين الذين خدم أولادهم وأحفادهم[2] كما تجلت على الخصوص فى كتابه العظيم الذى نحدثك عنه الآن :

٤ — كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

ويعتبر هذا الكتاب أهم كتبه الأخلاقية وأطرفها وأ كلها[3] ونظراً لأن ابن مسكويه كان أديباً شاعراً يحذق العربية والفارسية على السواء ، فإن أسلوبه فيه يمتاز بالسلاسة والرقة والعذوبة على غير عادة الفلاسفة الاسلاميين . وقد أعجب « الطوسى » به كل الاعجاب فترجمه إلى الفارسية وقال عنه :

بنفسى كتاب حاز كل فضيلة ... وصار لتكميل البرية ضامنا
مؤلفه قد أبرز الحق خالصاً ... بتأليفه من بعد ما كان كامنا
ووسمه باسم الطهارة قاضيا ... به حق معناه ولم يك مائنا
لقـد بذل المجهود لله دره ... فما كان فى نصح الخلائق خائنا

والكتاب بعد هذا ست مقالات تدور كما قلنا حول الأخلاق الايجابية للانسان ، أى الأخلاق التى تليق به من حيث هو حيوان ناطق . ولذلك نراه يفرق فى المقالة الأولى بين النفس

(١) أنظر الارشاد لياقوت ، والمقابسات للتوحيدى

(٢) وقد أعجب المستشرقون بذلك الكتاب وبدقته العلمية فطبعته لجنة جيب التذكارية ، ومجده الأستاذ « مرجليوث » فى مقدمة لكتابه الانجليزى (سقوط الخلافة العباسية) وفى كتابه « محاضرات فى مؤرخى العرب »

(٣) وله غير هذا الكتاب كتاب « جاويدان خرد » أى — العقل الأزلى — جمع فيه آداب العرب والفرس والهنود والروم وجعله مصداقاً للقوانين الخلقية التى ذكرها فى « التهذيب » ، وله كذلك رسالة صغيرة فى السعادة كتبها لصديقه ابن العميد لا تخرج فى معناها عما فى التهذيب ، وكتاب ثالث يسمى « بالفوز الأصغر » ويعتبر أساساً لفلسفته الخلقية وإيمانه الدينى الفلسفى . وهذان الأخيران مطبوعان . أما الأول فما يزال مخطوطاً بمكاتب أوربا ولاسيا مكتبة باريس الأهلية

والجسد تفريقاً يثبت به روحانية الأولى وخلودها واحتياج قواها المختلفة إلى كال خاص يتفق وما فيها من عقل مسيطر وفكر مقدس . وتراه يتناول فى الثانية خلق الانسان وقابليته للتغير والتهذيب ومدى أثر المعرفة فى العمل الخلقى ، ويتأدى من ذلك إلى « المنزلة الرفيعة » الجديرة بالانسان وماذا عسى أن يعوقنا عنها . أما المقالة الثالثة فلا تتناول غير موضوع السعادة بالبسط والمناقشة والعرض . وأما المقالة الرابعة فتحدد الأعمال الخلقية وتميزها عن غيرها وتنتهي بنا إلى المقالة الخامسة التى يبسط فيها أنواع المحبة بوجه عام ومحبة الصديق على الخصوص . وأخيراً تأتى المقالة السادسة لتبين لنا طريق حفظ الصحة على النفس ومعالجتها إذا مرضت

ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نبين وجه الطرافة والجمال والاتساق فى هذه المقالات البعيدة فى منهجها عن منهج الدينيين — (كالبصرى فى كتاب أدب الدنيا والدين [1]) — ، والمعتمدة فى طريقتها على الاستقراء العلمى الدقيق الذي « يكاد » ينطق بالتطور ، والذى يرسل البصر فى الكون كله ويحدد للإنسان ماهيته وعمله فيه !

أما مصادره فى ذلك الكتاب فهى تلك الثقافة الخلقية الواسعة التى استمدها من الأمم الأربع ، والتى يلوح فيها القرآن متفقاً مع أرسطو وإفلاطون وجالينوس وغيرهم من حكماء اليونان على الخصوص .

وإذا حاولنا أن نعقد مقارنة بين هذا الكتاب وبين كتاب أرسطو « إلى نيكوماخوس » : وجدنا ابن مسكويه يبز المعلم الأول أحياناً فى الوضوح والانسجام ، ويتفوق عليه فى فصول خاصة كفصل الصداقة والصديق ، ويزيد على فصوله فصولا أخرى جوهرية كفصلي « دفع الأحزان » و « حفظ الصحة على النفس السليمة » ! !

لذلك ننصح القارىء العزيز بقراءة هذا الكتاب مرة ومرة ومرة ، ويجعله دستورا له فى حياته كإنسان يرنو إلى

(١) انظر على الخصوص كلامه فى دفع الغم والحزن ووجوب عدم الخوف من الموت ، أو كلامه فى خلود النفس ، أو رأيه فى اختيار الصديق والاحتفاظ به .

السعادة الحق دنيا وأخرى » ونختتم هذا التعريف الوجيز بقول ابن مسكويه لابن العميد :

لايعجبنك حسن القصر تنزله
فضيلة الشمس ليست فى منازلها
لوزيدت الشمس فى أبراجها مائة
مازاد ذلك شيئاً فى فضائلها

أو بقوله لعميد الملك :

فانظر إلى سير القوم الذين مضوا
والحظ كتابتهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفاً
وإن تقاربت الأحوال فى النسب
هذا كتاج على رأس يعظمه
وذاك كالشعر الجافى على الذنب [1] ! !

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) انظر ارشاد الأديب لياقوت — ترجمة ابن مسكويه .

التصاوير والتماثيل في الحضارة الاسلامية

التصوير في الكتب

لأستاذ جليل

التصوير في (الحضارة الإسلامية) في الحجر والكتاب — كثير . وإذا جدّ واستمر بحثُ النابشين وتنقيب المفتشين ظهرت نفائس مضمرات ، وبدت بدائع مكنونات ، وعرف الناس من آثار تلك المدنية المحمدية ما لم يكونوا قد عرفوه

وإن (كتاب الله) لم يذمم في آية من آياته تحسيناً ولا تجميلاً ، ولم يحرّم تصويراً ولا تشكيلاً . وهل الخط أو التسطير إلا تدبيج وتصوير ؟ وهل الكتابة أصلها إلا صور ؟ وهذه قصور المروانية والعباسية — والقوم حماة الدين وخلفاء المسلمين — فيها الأشكال والتهاويل[1]

« من كل شيء يُرى فيها تماثيل[2] »

وقد زار مسلم عربي منذ أشهر قصر هشام بن عبد الملك الذي كشفه المنقبون في ناحية أريحاء من أعمال فلسطين[3] في السنة الماضية فشاهد صوراً ناتئة لوجوه أناس عرب في بقايا الغرف والجدران

قلتُ يوما لدار قوم تفانوا ... أين سكانك العزاز علينا

فأجابت : هنا أقاموا قليلا ... ثم ساروا ، ولست أعلم أينا[4]

---

(١) التهاويل : زينة التصاوير والنقوش والوشى ، واحدها تهويل . والتهاويل الألوان المختلفة من الأصفر والأحمر . (اللسان) . هولت المرأة بحليها وزينتها إذا راعت الناظر إليها (الفائق)

(٢) عبدة بن الطيب ، وصدر البيت (فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة) قال الأنبارى : فيها الأسد مصورة . ويروى فيها الذئاب ، وبعد البيت :

في كعبة شادها بان وزينها ... فيها ذبال يضيء الليل مفتول

(٣) فلسطين من أجناد الشام في النهاية : « الشام خمسة أجناد : فلسطين والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وقنسرين ، كل واحد منها كان يسمى جنداً أي المقيمين بها من المسلمين المقاتلين » والشام من غزة إلى الفرات طولا . وقد مزق المغيرون هذا الاقليم العربي الصغير أي تمزيق ! مزق الله ملكهم !

(٤) تفانى القوم أفنى بعضهم بعضاً . ومراده فنوا (العزاز) من جمع العزيز في (المطمح) للفتح : وللوزير جهور بن محمد بن جهور وقد وقف على قصور الأمويين (في الأندلس) وقد تقوضت ابنيتها ، وعوضت من أنيسها بالوحوش أفنيتها : قلت يوماً إلخ

وكان في رِفاقته أحد معارفه فقال مستعجبا : ماهذا ؟ خليفة مسلمين ، وأمام دين ، وصور وتماثيل ! !

فقال المسلم العربي مفاكها مازحا : لم يكن (المحرِّم) قد نجم ودُوِّنت كتبه في أيام هشام ... [1]

وجاء في تاريخ بغداد لابن الخطيب في وصف دار الخلافة : [2]

« وفيها — أي دار الشجرة [3] في دار الخلافة — شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة ، فيها ماء صاف ، وللشجرة ثمانية عشر غصنا ، لكل غصن منها شاخات كثيرة[4] ، عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها ذهب ، وهي تمايل في أوقات ، ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر . وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا قد ألبسوا الديباج وغيره ، وفي أيديهم [5] مطارد على رماح يدورون على خط واحد في (الناورد) [6] خببا وتقريبا[7] فيظن أن كل واحد إلى صاحبه قاصد ، وفي الجانب الأيسر مثل ذلك »

وذكر ابن أبي الحديد في (شرح النهج) الكبير : « إنه كان على سيف عضد الدولة بن بويه وأبيه ركن الدولة صورة علي (رضي الله عنه) ، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته »

وروى صاحب (النفح) عن بدر الدين بن الحسن الأربلي المتطبب وصف تصاوير في حمام رآه في بغداد في (دار الملك شرف

---

(١) استخلف هشام — كما قال الطبرى — سنة (١٠٥) وتوفي سنة (١٢٥)

(٢) أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها فكان ذلك مثل مدينة شيراز (تاريخ بغداد)

(٣) كانت شجرة من الفضة وزنها (٥٠٠) ألف درهم ، عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها (تاريخ بغداد)

(٤) شاخات : رفارف

(٥) المطرد من الرمح ما بين الجبة إلى العالية ، والجبة من السنان ما دخل فيه الرمح

(٦) ناورد : لفظ فارسي وهو في لغتهم بمعنى القتال ، وجولان الخيل في الميدان ، وفي اللغة الجديدة ناورد جنك ، وجولان اسب . وبالمعنى الثاني استعمله المولدون وغيرهم (شفاء الغليل)

(٧) الخبب : السرعة وقيل هو مثل الرمل ، ورمل هرول ، والتقريب المدودون الاسراع ، قرب الفرس إذا رفع يديه معاً ووضعهما معاً

الدين هرون بن أمازو الصاحب شمس الدين محمد الجويني) تُدهش مبصريها ، وتعجز واصفيها ، وقد يجد الفتيان الشُّطَّار والمتفننون من رجال الليل مايشبهها اليوم في بيوت في (باريس) .. وربمـا لا يجدون . وهي الحضارة ، وهو التفنن فيها ... وهذا ماتسهل روايته من وصف الأربلي :

« وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية ، وبعضها على هيئة طائر إذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة . ثم أراني — يعني سائس الحمام — نحو عشر خلوات ، كل خلوة أحسن من صنعة أختهـا . ثم انتهى بي إلى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ، ودخل بي إلى دهليز طويل ، كله مرخم بالرخام الأبيض الساذج ، وفي صدر الدهليز خلوة مربعة ، ورأيت من العجائب في هـذه الخلوة أن حيطانها الأربعة مصقولة صقالاً لا فرق بينه وبين صقال المرآة ، يرى الإنسان سائر بشرته في أيّ حائط شاء منها . ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ، ومذهبة ؛ وكلها متخذة من بلور مصبوغ ، بعضه أصفر ، وبعضه أحمر ؛ فأما الأخضر فيقال : إنه حجارة تأتي من الروم ، وأما المذهب فزجاج ملبس بالذهب ؛ وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة في اللون وغيره . وكل محاسن الصور الجميـلة مصورة في الحائط »

* * *

وهذا خبر عن مصنِّف مصوِّر في العلم قد أرصن تأليفه وتصويره أيما إرصان ، وكأنه آخر ماقيل في أمريكة وأوربة في توضيح الكتب بالصور . وإني لأرويه مؤيداً ومسانداً المقالة الجديدة المفيدة : (التصوير التوضيحي في المخطوطات الإسلامية) التي أطرفها الناس في (الرسالة) الفراء الأديب المتفنن الدكتور أحمد موسى ، والتي زيّنتْ لي تصوير هذه السطور :

قال ابن أبي أصيبعة في كتابه : (عيون الأنبـاء في طبقات الأطباء) في سيرة رشيد الدين بن الصوري[1] : « ولرشيد الدين ابن الصوري من الكتب كتاب الأدوية المفردة . وهذا الكتاب بدأ بعمله في أيام الملك المعظم ، وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها ، لم يذكرها المتقدمون . وكان يستصحب مصوِّراً ، ومعه الأصباغ والِّليق[1] على اختلافها وتنوعها ، فكان يتوجه رشيد الدين ابن الصوري إلى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي اختص كل منهـا بشيء من النبات ، فيشاهد النبات ويحققه ، ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها . ثم إنه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك أنه كان يري النبات للمصور في إبّان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه إياه وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه إياه وقت ذُوِيّه ويبسه فيصوره ، فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر إليه في الكتاب وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض ، فيكون تحقيقه له أتمّ ومعرفته له أبين »

* * *

إنّ التصوير غير الشرْكي وغير العهري لَمُباح . وإن التصاوير والتماثيل إنما هي محاسين وتزايين « قُلْ من حرَّم زينةَ الله » ، وإذا كان ذلك للهدْي والتذكير والتعليم والتثقيف فقل بالوجوب

القارئُ

(١) مولده في سنة (٥٧٣) وتوفى سنة (٦٣٩) خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، ثم خدم بعـده لولده الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ، وشهد معه مصافات عدة مع الفرنج لما نازلوا ثغر دمياط ، ولم يزل معه إلى أن توفى وملك بعـده الملك الناصر داود فأجراه على جامكيته — جرايته — وفوض إليه رياسة الطب الخ (عيون الأنباء)

(٢) الليق — بالكسر — شيء أسود يجعل في الكحل . قال الزمخشري ، وهو بعض أخلاطه (التاج)

الرافعي

بعـــــد عام

للأستاذ محمد سعيد العريان

في صباح الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ نُعي المرحوم مصطفى صادق الرافعي إلى أدباء العربية ، فجأة وبغير إنذار ؛ فسكت القارئُ وتلفت السامع ، وتغشى السامرين من أهل الأدب سكونٌ ووحشة وانقباض

وطالت فترة الصمت ، والسامرون في غشيتهم لا ينطقون ، إلا نظرات شاردة ، وخواطر تصطرع وتموج ، وذكريات تنبعث حرقة لاذعة ، تذكّر بما كان وتنبّه إلى ما ينبغي أن يكون ...

وهمس هامس : « رحمه الله ! لقد كان رجلاً للدين وللعربية هيهات أن تجد بديلا منه أو ينقضي زمان من عمر التاريخ ! »

ثم عاد الصمت ، وعاد السكون ، إلا النظرات الشاردة ، والخواطر المائجة ، والذكريات والأماني ...

وهتف هاتف في جلال الصمت وفي وحشة السكون : « إن للفقيد لحقاً على اللغة ، وحقاً على المسلمين ، لا يجزئُ فيهما أن تقول : رحمه الله ! »

وتدانت الرءوس ، وتجاوبت النظرات ، وانثالت الأفكار ، وتزاحمت الأماني ؛ ثم لم يلبث أن عاد الصمت ، وعم السكون !

ثم عاد القارئُ يقرأ ، وأنصت السامع يسمع ، وانتحى اثنان يداولان الرأي في شأن من شئون الأدب ، وتماسك اثنان يفاضلان بين الجديد والقديم ؛ وغامت في سماء النّدِيّ غامة ، وانعقدت على رءوس السامرين عجاجة ، وضج المكان كسالف عهده ، واختلطت الأصوات فما يبين صوت من صوت ، واشتغل كل بما هو فيه ...

وصاح صائح في نبرة اليائس المحزون : « ويحكم يابني عدنان! لقد شغلتكم دنياكم عن الوفاء ، وفتنتكم الحياة عن ذكر الموت ! لقد كان هنا إنسان منكم ، وإنه لأرفعكم صوتاً ، وأبلغكم بياناً ، وأبعدكم غاية ومدى ؛ فهلا ذكره منكم إنسان ... »

ورنت العيون ، واختلجت الشفاه ، واهتزت الرءوس ، وانبعث صوت السامرين يحوقل ويسترجع في همس خافت ، وقال قائلهم : « رحمه الله ! لقد كان ... ! »

* * *

رحمه الله ! رحمه الله !

هذا كل وفاء العربية للراحلين من أدبائها : يتهاوَوْن من الذروة إلى بطن الوادي فرداً فرداً ، وإخوانهم على الطريق ينظرون إليهم في بلادة وصمت ؛ لا تشيّعهم منهم قدم ، ولا تتبعهم عين باكية ، ولا يذكرهم منهم إنسان !

رحمه الله ! رحمه الله !

هذا كل تراث الأديب في العربية لبنيه وأهله ، هو حسْبهم من الطعام والشراب والثياب وتكاليف الحياة ، وفيه العِوَض كلُّ العِوض من عائلهم الذي طواه الموت بين الصفائح والتراب !

رحمه الله ! رحمه الله !

هذا هو الخلود الذي ضمنتْه العربية لمن يموت من أدبائها وهو في ميدان الجهاد يكافح الفقر والمرض وشئون العيال ، ويبذل نفسه لينشيء أدباً يسمو بضمير الأمة ، ويشرع لها طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد وسعادة الأبدية ومجد التاريخ !

رحمه الله ! رحمه الله !

هذا كل ما تستطيع العربية من كلمات العزاء ، وكل ما يملكه أدباء العربية من أساليب المواساة ، وكل ما يقدر عليه ناطق بيبن ، وصديقٌ يتحبّب ، وحبيبٌ يشعر أن عليه حقّاً لمن يموت من أهل البيان !

رحمه الله ! رحمه الله !

صوت ما له صدى ! وتراث ليس فيه غناء ، وطعام لا يهنأ ولا يمرأ ، وخلود لا يدوم إلى غد ، وعزاء لا يجفف دمعة ولا يخفف لوعة ولا ينفذ إلى قلب طفل سلبه الموتُ أباه وسعادة دنياه !

رحمه الله ! رحمه الله !

... خلّوا عنكم أيها الأدباء الكبار ، وأيها الشعراء العظام ، وأيها الخطباء المصاقع ؛ خلُّوا عنكم عناءها ، سيرحمه الله وإن لم تقولوها ؛ سيرحمه بما جاهد ، وبما بذل ، وبما عانى ، وبما تحمّل من جهد التضحية ومشقة الحرمان ؛ وسيرحمه ثانيةً بما لقي من

العقوق وكان بَرًّا ، وعما اتقى من الغدر وكان وفيًّا ، وعما قوبل من إنكار الجيل وكان من أهل الجيل ؛ وسيرحمه بدموع هؤلاء اليتامى ، وبأنات هؤلاء الأيامى ، وبدعوات كثير من أهل الإيمان وَفَوْا له ماوسعهم الوفاء !

* * *

مضى عام منذ مات الرافعى ، فهل سأل أحدٌ : كم خلّف وكم ترك ؟

سأحدثكم وإن لم تطلبوها إليّ ... ...

أما المال فلا سبد ولا لبد ، وأما الأدب فثروة للرواة وعزّة للولد ، وأما العيال ... واحَزَنَا لو كان يجدى الحزن !

هذا « سامى » كبيرُهم فى بعثة الجامعة بأمريكا ما زال بينه وبين الغاية خطوة ؛ وهـذه « سعدية » الصغيرة تلثغ فى الراء وتضم شفتيها على الباء ؛ وبينهما ثمانية يقوم على شئونهم « محمد » الله لهذا الشاب العائل ؛ لم يكد ينعم بقرب الأهل بعد فراق سبع سنين في فرنسا لدراسة الطب ، حتى كان عليه عبء الأسرة كله ، فكأنما كان هو فى تلك الغربة وديعةً إلى أجل ، وذخيرة إلى ميعاد ؛ وعاجلته تبعات الحياة وما يزال فى باكر الشباب !

والحكومة .. ؟ خلِّى عنك يا وزارة الحقانية ، خلِّى عنك يا وزارة المعارف ، خلِّ عنك يا وزير المالية ... الله أكرم !

لقد تصرّم من عمر الرافعى فى خدمة الحكومة ثمان وثلاثون سنة ، ومات ولم يجاوز السابعة والخمسين ؛ فأى مكافأة وأى جزاء ؟ بضعة عشر جنيهاً فى كل شهر ، تأبى الحكومة إلا أن يكون لها فيها ميراث ...

إنه الرافعى ، إنه الرجل الذى كان اسمه فى مقدمة الأسماء المصرية التى تؤكد زعامة مصر للأمم العربية ، وترفع اسمها وتبنى مجدها الممتاز ، وتسن طرائقها التى يحتذيها الأدباء فى العالم العربي .

إنه هو ... ولكنها هى مصر ... !

وكتب رئيس الرافعى فى وزارة الحقانية كتاباً غداة منعاه إلى وزارة المالية ، يصف لها من حال الرافعى ومن خبره ، ويقترح ... يقترح أن تنزل الحكومة عن نصيبها من الميراث فى (معاش) الرافعى لأولاده ... ولكن وزير المالية يأبى ... ولكن الله أكرم ... !

« يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

ذلك كان جواب الحكومة المصرية ... !

* * *

لقد مضى عام ، فهل تذاكر أدباء العربية فيما عليهم للرافعى ؟ وهل ذكرت الأمة والحكومة ماعليهما من واجب الوفاء للرافعى ؟

لقد تداعى الأدباء إلى ميعاد يحتفلون فيه بتأبين الرافعى ، وجاء الميعاد وتخلّف المدعوّ والداعى ؛ وترادف ميعاد وميعاد وميعاد ، ومضى عام ، وعلى مكتب كل أديب دعوةٌ لتأبين الرافعى ، وفي ذيل كل دعوة جواب المدعو بخطه أو بلسانه : « يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

وعند دكاكين الورّاقين أسئلة عن كتب الرافعى ، ولكن السوق ليس فيه كتاب من كتب الرافعى ؛ وقال قائل : « أعيدوا طبع الديوان ، أعيدوا طبع إعجاز القرآن ، أعيدوا .. أعيدوا .. »

وقال الطابع والناشر والورّاق : « يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

وعلى مكتب الرافعى كتبٌ لم تطبع ، وقصاصات لم ترتَّب ، وثمرة عقل خلاّق كان يجهد جهده ليضيف كل يوم إلى العربية ثروة جديدة وفكراً جديداً . وقلنا : « يا وزارة المعارف ، هذه كتب إن لم تخرج للناس سبق إليها العثّ والفيران فيضيع على العربية كنز مالها منه عوض » ولكن وزارة المعارف فى أحلامها الهنيئة لا تسمع ولا تجيب ، إلا همساً فى أمثال أنفاس النائم تُردّد قول الناس : « يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

* * *

وفى الأمة مع ذلك أدباء ، وفى الأمة كتاب وشعراء ، وفى الأمة ناشئة غافلة ما تزال ترجو الخلود فى الأدب ...

وفى الأمة عقول ناضجة فى أجسام مهزولة من الفقر والجوع ؛ وفى الأمة رءوس ممتلئة على أناسيّ تضطرب كل مضطرَب للبحث عن القوت

وفى الأمة ... وفى الأمة رءوس فارغة على أجسام تكاد تتمزق شبعاً ورياً ؛ وفى الأمة ... وفى الأمة قلوب خاوية فى أناسيّ تتمرغ بين وسائد الدمقس وحشايا الحرير ...

وفى الأمة ... وفى الأمة مع ذلك من يتساءل مدهوشاً : « لماذا ... لماذا لا نجد فى الأمة العربية شعراء وكتاباً ومنشئين كبعض من نقرأ لهم من أدباء الغربيين ... ؟ »

يرحمك الله يا مصطفى ... ! بل يرحمك الله أيتها الأمة !

« شبرا » محمد سعيد العريان

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة مرور سنة على وفاته

للأستاذ فليكس فارس

سئل الرافعي ماذا يريد أن يقال عنه بعد الموت ، فكتب جوابه قبل وفاته بشهرين صفحة بارزة بين خالدات آثاره : ومما جاء فيها :

(وبعد الموت يقول الناس أقوال ضمائرهم لا أقوال ألسنتهم إذ تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدواً وتخلص معانى الصداقة بفقد الصديق ويرتفع الحسد بموت المحسود وتبطل المجاملة باختفاء من يجاملونه .)

ثم أورد بعض الكلمات التي اعتقد أنها ستقال عنه : كمعجزة الأدب وحجة العرب ومؤيد الدين الخ .. ليستطرد قائلا :

(أما أنا ، فاذا ترى روحى وهى فى التمام وقد أصبح الشيء عندها لايسمى شيئاً إنها سترى هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوى الذى تدل عليه لاتفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس القائل وخفة ضميره ، فشعور القلب الثائر هو وحده اللغة المفهومة بين الحى والميت) ...

* * *

أى أخى مصطفى ، إذا كنت أصبت باستجلاء نفسك وهى لم تزل أسيرة جوارحك ، فانك خدعت باطلاقك حسن ظنك على الناس أجمعين ، لأنك اتخذت تجردك مقياسا فحسبت أن خصومك سينصفونك بعد موتك كما أنصفت أنت من جادلتهم وجادلوك وأردت أن تفهمهم وما أرادوا أن يفهموك .

لقد كانت تنقطع فيك مادة العداوة بذهاب من كان عدواً ، لأن عداءك كان ناشئاً عن اعتقادك بتفوق أسلوبك وروعة مذهبك ، فما ناضلت حين ناضلت إلا عن سلسلة ثقافة تواصلت حلقاتها منذ نشأ الأدب العربي الصميم حتى انتهى إلى قلمك . أما هم فقد كان عداؤهم ضغينة لأنهم أحبوا أنفسهم واستغرقوا فى أنانيتهم ، لذلك قضت عليهم طبيعة نفورهم منك بأن يتناوبوك وأنت مغيّب فى التراب .

إن الحسد لايرتفع بموت المحسود كما كنت ترى ، لأن مادة الحسد مستمدة من صغار الحاسد فلا تزول إلاّ بزواله .

إنى لأرى روحك الآن تستشف هذه الحقيقة وهى من عيوب التراب لايتملص منها فى الحياة إلا الأرواح التى لم تطمع من الدنيا إلا بمـا تتزوده منها للآخرة .

وإننى لأراك لاتأبه لمـا يقال عن بيانك وأسلوبك ولهجتك فانها أدوار بلاغ لالهامك ، وإلهامك وحده هو ما يقوم فى نفسك الآن ، فأنا أشعر بأن الكلمة التي أكتبها لذكراك لن تجتاز الحد القائم بين الظاهر والخفى ، إنها لكلمة تزحف زحفاً فى عالم التلمس والاستقراء موجة ذاهبة فى خضم الآراء المتضاربة تقذف بالأحياء إلى طلب الرقي وهم متجهون إلى القبور .

أما الكلمة المجنحة التى تبلغ روحك أيها الأخ الحبيب ، الكلمة المأخوذة (من اللغة التى يتفاهم بها الأحياء والأموات) فان روحى قد هتفت بها بالصرخة الصماء وبالدمعة العمياء منذ بلغها رجوعك إلى مصدرك ، ولمـا تزل تهتف بها كلما ارتادت أجواء الشعور والتفكير

أفلا قلت إن روحك ستبحث من وراء الحجاب عن الثمرة المساوية السماء القلب فى النـاس وعن كل كلمة دعاء وكلمة ترحم وكلمة خير . وإن ذلك ما تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة

لقد عرفت يا مصطفى ، وما أقل من يعرفون هذا فى الحياة ، قيمة عطف الروح على الروح فى هـذه الدنيا وبخاصة قيمة هذا العطف يتراءى على ضفاف نهر الموت مناجياً الأحباب الراحلين

إذا كان فى كل عطف من حى إلى حى نشوة وقوة وأمل ، فلا ريب فى أن كل خفقة شوق من محب إلى ميت عزيز تحمل إليه الدعاء والترحم والخير

هنالك لا تغنى نفس عن نفس شيئاً ، ولكن عطف الأرواح الأسيرات على الروح المنطلقة فى العالم الخفى ليس إلا مما كسبت هذه الروح من إخلاصها فحق لها أن تجزى بما سعت وبما اكتسبت

* * *

كنت أعتقد أن الرافعى كاتب له شأنه فى محيطه الخاص ، وأنه رجل بيان فخم ، ولكنه يدور ضمن حلقة ضيقة من العلم ، فكنت

مسيئاً إلى نفسي بهذه الفكرة لأنني ما بنيتها إلا على مقال أو بعض مقال وقع نظري عليه منذ سنوات عديدة في لبنان

ومنذ سنتين أو أكثر شغفت بمطالعة رسالة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات لعبقرية هذا المفكر المجدد وحسن اختياره . وفي أحد أعداد الرسالة قرأت (رؤيا في السماء) للرافعي فكنت كلما قرأت سطراً بعد سطر أحسبني أشهد أحلاماً غائرة في سريرتي تنقلب أشباحها حقائق ماثلة لعياني ، وما أتيت على آخر المقال حتى هتفت قائلا : هذا هو مثال الأدب العربي الذي يمكننا أن نواجه به الآداب العالية في نهضتنا . واندفعت أترجم (رؤيا في السماء) إلى اللغة الفرنسية ثم نشرتها مقدماً بها إلى أدباء الغرب حجة على من يدعي منهم أن الأدب العربي ليس إلا عالة على آدابهم

ومضى شهر على ظهور الترجمة في المجلة الأسبوعية الفرنسية في القاهرة ، فإذا برجل مهيب الطلعة يدخل عليّ ويتقدم مصافحاً مقدماً نفسه (مصطفى صادق الرافعي) فبادرت إلى معانقته وبدأت أتكلم مرحباً ، فإذا به يتفرس فيّ ويبدي إشارات من لم يفهم ما أقول ، وكان يرافق الرافعي الأستاذ كامل محمود حبيب فأشار إليّ بأن نابغتنا أصم وعليّ أن أخاطبه بالقلم

ومنذ ذلك اليوم لم يحضر الرافعي مرة إلى الاسكندرية دون أن يشرفني بزيارته ، وقد كان هو الساعي إلى تعريف الأستاذ الزيات والأستاذ حافظ عامر بك بي فتسنى لي أن أجتمع مراراً بثلاثة أفذاذ لكل منهم لمان في آفاق النهضة الأخلاقية الأدبية وقد كلفوني بإجماع الرأي ترجمة كتاب زرادشت للفيلسوف الألماني نيتشه

وفي أواخر ابريل سنة ١٩٣٧ جاءني مصطفى في الاسكندرية وهو يتأبط وحي القلم هدية إلى تحمل كلة من خطه أحتفظ بها بين ذخائر من فقدت من أهلي

وأمرنا اليوم معاً نتحدث كعادتنا ، أكتب فيتكلم ، ومما قاله لي أن إحدى الصحف كلفته كتابة مقال عنوانه المرحوم (مصطفى الرافعي بقلم مصطفى الرافعي) على نحو ما كتب (ويلز) وأن الفكرة راقت له ولكنه يريد أن أتولى أنا كتابة هذا المقال فقبلت مشترطاً أن أكون وضميره الكين المستنطقين إذا هو أصر على إقامتي حكما بينه وبين الحياة ، فضحك وقال : ما اخترتك لهذه المهمة إلا لعلمي بأن المحبة أشد صرامة في حكمها من العداء وما كان الرافعي مخدوعاً بما أضمره نحوه من إخلاص مجرد وقد تحقق أنني قدرت روحه قبل أن أتعرف إلى شخصه

ولما حان ميعاد انصرافه شيعته وأنا أحس بغصة شعرت بمثلها في كلة الوداع التي ألقاها إليّ وهو يزودني بآخر نظرة لم أزل أراها أمامي كآخر شرارة من أسنى الأنوار التي شاهدتها في حياتي

وفي أول مايو سنة ١٩٣٧ أخبرني صديق أن أحد أصحابه استعاد السمع وهو مصاب بالصمم بوضع صفحة من الجلاتين (وهو الجلاتين المستعمل لمردات السيارات) بين أسنانه وطيها قليلا حتى تنحدب بين الفم والصدر فيؤثر عليها اهتزاز الصوت تأثيره على ساعة الحاكي فيصل إلى طبلة الأذن الداخلية بواسطة أعصاب الفكين

بادرت بالكتابة إلى مصطفى وبت أنتظر الجواب بذاهب الصبر فوردني منه بعد يومين الكتاب الآتي ، وهو مؤرخ في ٢ مايو أي قبل وفاته بأيام قلائل :

عزيزي الأستاذ فليكس فارس

سرني كتابك لأنه كتابك ، وقد جربت الفائدة فإذا هي قريب مما وصفتم ، غير أن الصوت يبلغ إلى الدماغ مصمتاً غير مبين كأنه لا حروف فيه ، وتلك هي العلة من أولها . وسأزاول المران على هذه الطريقة ، فلعل لها عاقبة إن شاء الله ، ولعل فائدتها تأتي بالتدريج !

لماذا تفتر في ترجمة نيتشة فأصبحت تظهر وتختفي ...

أما اعترافات فتى العصر فهي جيدة جداً ، ولو كان مؤلفها هو المترجم لما استطاع أكثر مما استطاع المترجم الشيخ فليكس فارس

رسالتك وترجمة رؤيا في السماء قرأها الأستاذ الفرنسي فأعجب بهما ، وقد سلمت الأصول للدكتور محمد ليرسلها إلى أستاذ الآداب في جامعة ليون

وحفظك الله للمخلص

مصطفى صادق الرافعي

طنطا في ٢ مايو سنة ١٩٣٧

مرت الستة على وفاة الرافعي وهو — بعد أن وفى قسط جهاده وانسحب من معاكس الاظلال في هذه الحياة — لم يعد إلا صورة

حفرها الحب فى قلوب أهله وأصحابه ، وإلا كتباً ورسائل وقصائد تتداولها الأفكار فى العالم العربى ، فإن أنا أتناول الكلام عنه الآن فلا أواجه الصورة المحفورة منه فى أعماق القلب لأن النظر إليها يخرس بيانى ولا يستنطق سريرتى إلا الكلمة المجنحة الصامتة التى أناجيه بها ، بل أواجه منه التراث الأدبى الفخم الذى أقام به لنفسه خلوداً آخر قد لا يهتم له الآن بقدر ما نهتم له نحن لأنه يشق لنا أفقاً واسعاً من آفاق الضحى فى النهضة العربية الحديثة

لقد كان الرافعى فى الطليعة من قادة الرأى والبيان ، اختطت له فطرته العربية وثقافته العربية منهجاً لم يقتحم صعابه إلا النزر اليسير من حملة الأقلام فى بلاد العرب

وقد ظهر هذا العبقرى بشخصيته الفذة فى حقبة من الزمن كان الأديب فيها متلمذاً لمدرستين : إحداهما مدرسة الأدب العربى تحاول إنهاض اللغة من كبوتها وقد طالت قروناً فتحصر كل همها فى تنميق العبـارات وتصحيح المفردات والتملص من الأسلوب السقيم الذى طغت فيه على البيان أسجاع المتحزلقين واجتاحته الألفاظ العامية . والأخرى مدرسة الأدب الدخيل تغترف من معين الغرب أوشالا تريقها بياناً مقلقلاً لا يمت إلى العربية الفصحى بسبب ، وليس فيه من الألفاظ الصحيحة ومتانة الأسلوب مايقوى على اقتناص روائع التفكير من بيان الأجانب

كان الرافعى فى تلك الفترة يخطو خطواته الأولى بعيداً عن المدرسة الثانية متصلا بالمدرسة الأولى بجـامع اختيار الألفاظ وتنميق الأسلوب غير أنه ند عن هذه المدرسة بإرسال نظراته إلى أغوار الأدب العربى القديم غير واقف عند لامعات الأصداف الطافية على سطوحه

إن للآداب أنواعاً من الجمال لا يمكن للنفوس على اختلاف أذواقها أن تتفق على ترجيح إحداها ، وليس للمتأدب المنصف ، إذا هو أدرك هذه الحقيقة ، أن يتعصب لذوقه فيضع فى ميزانه عبقريات الأدباء بالمقابلة والترجيح

لئن سر العبقرى الحقيق أن تتنـاول الأقلام تحليل تفكيره وخياله وديباجته بعرضها على الفن ، (بالرغم من أن الفن نفسه ليس ناموساً ولا قاعدة ولا مقياساً) ، فإن هذا العبقرى ليأنف أن يحشره كاتب فى كفة ميزان ليضع فى الكفة الأخرى عبقرياً آخر يطمح إلى الحط من قيمته وقدره

ما ضر الكاتب المتحزب لو قال إن مثله الأعلى من العبقريين يتدفق إنسانية وشعوراً دون أن ينكر هذه الصفات على أنداده بل على كل ذى قلب شاعر ورأس مفكر فى هذه البلاد ...

والله ، إننى لا أدرى أية نسمة مشئومة تهب على هذا الشرق العربى مقحمة الحزبية ميدان الأدب نفسه ، وما الأدب الرفيع إلا النسب الشريف والرابطة المكينة بين النفوس الحساسة الحائرة فى هذه الحياة تتلمس حقيقة القلب وتتطلع إلى أنوار الفكر

أفلا يكفى الأدباء ما يعانونه من مجتمع لما يزل فى بدء تكوينه وتكاد كتلته الكبرى تتبرأ من بيانهم ، حتى ليقوم التحاسد بينهم فيتناكرون ، وعهدنا بالأدب دولة يتساند جنودها على المرتقى ولا يستغنى حامل أكبر مشعل بينهم عن أنوار أصغر المشاعل المتألقة حوله فى اعتكار الظلمات

إن دولة الأدب ديمقراطية فى روحها ، بل اشتراكية ، بل إباحية بأعمق معانى الكلمة ، لأن لا حطام فيها للمالك ولا تخوم لحد شخصية تجاه شخصية أخرى ، وما الفكر إلا نسمة لا نعرف لها مهباً ولا ندرك لها مستقراً

وعندى أن كل أديب ينشيء لنفسه بلاطاً لينظر إلى من حوله نظرة الأمير إلى أتباع يسيرون فى ركابه ، إنما هو مدع دخيل يسد على نفسه كوى الالهام ويقيم بغروره عقبة فى سبيل اعتلائه

الأدب رسالة لخير الأمة وخير المجتمع الانسانى ، والأدباء متضامنون فى تأدية هـذه الرسالة وإن اختلفت مراتبهم ، وأرق الأدباء مرتبة من يرسل نظراته مفتشاً عن أديب يحاول الصعود ليمد إليه يده ويسدد خطاه ويصحح أخطاءه ، لا من يزدرى أترابه المساوين له ويحتقر المتحفزين للحاق به

إن أقطاب الأدب قادة فيالق فى عالم التفكير ، وشر القواد من احتقر الجنود لأن عظمته تقوم على شجاعتهم ، وخلوده يبنى على كواهلهم

فاذا كان الرافعى لم يسلم فى حياته الأدبية من ثورات غضب حولت عبقريته إلى النضال العنيف ، فما كان ذلك إلا لأنه وهو يتسلق المرتقيات ويمد بساعديه إلى ما فوق لم تعثر يداه إلا على أرجل ترفس استكباراً وحسداً ، فاضطر إلى تصفيح قبضتيه فولاذاً

البقية فى العدد القادم

فيلكس فارس

هل ينبغى أن تزاحم المراة الرجل؟

للآنسة زينب الرافعى

(بقية ما نشر في العدد القادم)

وأنا موقنة أيها المؤيدون أنكم يومئذ لن تسمعوا من المرأة إلا رأياً واحداً عن وظيفتها فى الحياة؛ ستقول لكم كلمتها الحاسمة فى هذا الموضوع حين تقول: « إننى ملكة فى مملكتى الصغيرة فهيهات أن أخضع للاغراء فأنزل إلى مرتبة السُّوقة فى الأعمال!! »

أرأيتم تلك المدبرة الأجنبية التى استخدمتها تلك السيدة الرَّجُلَة لتدبر بيتها، أرأيتموها هناك إلا لتطلّع على عوراتنا وتكشف عن عيوبنا حتى إذا عادت إلى قومها قالت مالا يسركم أن يقال!

* * *

لقد ذهب فلان إلى أوربا فعاد بزوجته أجنبية، ومثل فلان هذا كثير من شباب مصر، وتسأله: لماذا آثرتها على بنات العم وبنات الخال؟ فيجيب: لقد تزوجت أجنبية لأنى لم أجد مصرية واحدة أهلا لأن تكون لى زوجة!

لماذا؟ لجمالها؟ لا، إن فى مصر لجميلات يُزْهين على جميلات العالم. لأدبها؟ لا، إن المصرية لأكثر أدباً من صاحبته، إن مقاييس الآداب تختلف باختلاف البلاد، فما رآه منها لا يمكن أن يُعَدَّ أدباً عند المصرى. لثقافتها؟ لا، إن الرجل المصرى لا ينظر إلى ثقافة المرأة حين يهمُّ أن يختار الزوجة. لحسبها وأهلها؟ ولا هذه أيضاً أيها السادة، فليس يبحث عن الحسب والأهل من لا يعرف خالاً لأولاده. إذن فلماذا لماذا؟

لشىء واحد أيها السادة، قد يكون له شُبهةٌ من الحق فى الاحتجاج به، هو أنها سيدة بيت، وسيدات البيوت بين بنات مصر قليل.

ويلى عليكن أيتها المصريات! أين حيلتكن فى مزاحمة المرأة الأجنبية التى غلبتكن على قلب أبناء العمومة وأبناء الخئولة من المصريين فاستأثرت باحترامهم من دونكن؟

أرينا أيتها الفتاة كيف تنجحين فى هذه المزاحمة بادئ بدء. فاذا بلغت الغاية فانظرى إلى الناحية الأخرى وطالبي بما شئت من الحقوق فى مزاحمة الرجل ...

* * *

أرانى أنظر إلى موضوعى نظرة محلية، وأحصر فكرى منه فى محيط ضيق؛ وظنى أن منافسىّ فى الرأى لايعنون إلا الكلام العام فى المحيط الكونىّ العام إذ يتحدثون عن مزاحمة المرأة الرجل فى ميدانه

معذرة: إن بيتى يحترق، أفيكون من حقى حينئذ أن أتحدث فى شئون جارى وأنا أولى بنفسى وأحق بالنظر إلى شأنى الخاص؟

كم يغيظنى ويُحرجُ صدرى أن يسألنى سائل: لماذا تؤهلين نفسك من وظائف الحياة بعد التعليم؟

ليس عندى إلا جواب واحد أيها السائلون الملحفون، هو جواب كل مصرية تعتز بجنسها وتباهى بكرامتها: « إننى أؤهل نفسى لأكون امرأة، امرأة كاملة تعلم أن الطبيعة زودتها بأسلحتها لتكون امرأة وحسب، فاذا انحرفت بى ظروف الحياة فكنت غير ذلك فلا علىّ، ولكنكم تسألوننى عما أريد، فهذا ما أريدُه وما علىّ أن أعمل له، وعلى الله ما سيكون! »

حدثونى عن المتعلمات اللاتى يعملن عمل الرجال: كم واحدة منهن نجحت فى إنشاء بيت وتكوين أسرة؟ لديكم الاحصائيات العامة فارجعوا إليها ثم حدثونى حديثكم.

ستحاول واحدة أن تفلسف وتعلل وتزعم وتدعى، ثم تقول فى النهاية: إن هؤلاء لم يخفقن فى حياتهن حين أخفقن فى إنشاء بيت، إنهن لم يظفرن بالأزواج ولكنهن ظفرن بما هو أعلى عند المرأة من الأزواج!.

أحقاً تقلن يا زميلاتى؟ فليكن! ولأزعم ممكن أنهنّ حين أخفقن فى إنشاء البيت ظفرن بما هو أعلى، وأغلو فى الزعم فأقول إنهن ظفرن بما هو أعلى وما هو أغلى، وإن خيراً للمرأة أن تكون رَجُلَة من أن تكون زوجة. ولكن .. ماذا يكون إذا صارت هذه هى القاعدة؟ أيتها الطبيعة، لدى للأمة أطفالاً من غير أمهات، لأن النساء يتأبين على وظيفة الأمومة، أوناعدلى أيتها الطبيعة وقولى للرجال:

لماذا لا يلدون للأمة ما دام للنساء عمل غير الأمومة ...؟

أنى أستحى لكم أيها المؤيدون ! إننى لأشفق عليكم أن تكون هذه وظيفتكم فى غد !

وإنى لأخاف يا زميلاتى العزيزات لو صحت هذه الدعوة أن أراكن وحدكن فى الميدان وقد هرب الرجال إلى البيوت ليقوموا بعمل آخر ... ! أرأيتن لو أن الرجل آمن وأطاع وأعطاكن الحق فى أن تممان عمله فى السوق ، وفى الديوان ، وفى الحقل ، وخلا لكن الميدان فليس فيه إلى جانبكن رجل واحد ، أكنتن حينئذ تصررْن على هذه الدعوى فتزعمن أنكن أقدر على عمل الرجال ؟ أم تعدن معولات باكيات تشكون عسف الرجل وقسوته وجبروته ؟

وهل تطيب لكن الحياة يومئذ بناحيتها : ناحية العمل وناحية العاطفة ؟

الآن لا أسمع إلا جواباً واحداً : لقد انتصرْت ، لا ، بل قد انتصرت الطبيعة ، لا ، بل قد انتصرت المرأة وعزّت مكاناً عند نفسها وعند الرجال .

* * *

ولكنّ صوتاً واحداً فرداً ما زال يهمس هناك ، إنى أسمع من يقول : وحين يذهب الرجال إلى الحرب فلا يبقى فى المدينة إلى جانب النساء أحد إلا ... ؟ وحين تأكل الحرب الشباب فيربى النساء عدداً على الرجال ؟ هذا سؤال ...

إن فى الاسلام العلاج لكل مشكلات البشرية ، وهذه مشكلة أعد لها علاجها منذ ألف وثلثمائة وخمسين سنة ، يوم أعطى المرأة التى لا تجد لها زوجاً ، الحق فى أن تطالب أختها المتزوجة — أعنى أختها فى الانسانية — أن تطالب أختها هذه بنصف رجلها أو ثلثه ، أو ربعه ، ولا تبذل نفسها فى عمل ما لا ينبغى أن تعمل ، أعنى عندما أباح تعدد الزوجات للرجل الواحد

إن تعدد الزوجات ضرورةٌ لِتُعالجَ ضرورة ، وهو نعمة على المرأة وإن عدَّتها أكثرُ النساء نِقمَة ، وما يجعلها نقمة إلا لأن أكثر الرجالِ مع الأسف لم يفهم حكمة الله فيما أباح وشرع . اسألوا المرأة التى تكسدُ سُوقها فى مثل هذه الضرورات الحربية ولا تجد من يعولُها : أخير لها أن تكون بلا زوج ، أو أن يكون لها نصف زوج ؟ إنكم تعرفون الجواب .

ولكن مالنا نتحدث عن الضرورات ، ومالنا نستشهد بفلانة وفلانة ممن زاحمن الرجال فزحمنهم ، وطاولنهم فطلْنَ عليهم . إننى لا أريد أن أعرِضَ لذلك .

هبوا أن المرأة تقوى على عمل الرجل كالرجل ، بل هبوها أقوى منه ، وهبوا نساءً كثيرات نجحن فيما أخفق فيه الرجال وبرزن فيما قصّروا فيه ، فهل هؤلاء كل النساء وكل الرجال ؟ وهل هذا يعطينا الحق فى أن نقول لكل امرأة : إنك تستطيعين أن تكونى رجلا إذا أردت ؟ هيهات إلا أن يستطيع كلُ رجل أن يكون امرأة وأمًّا ومدبرة بيت .

هيهات ! هيهات ! إن المرأة هى المرأة ما فى ذلك شك ، وإن كل امرأة لَتشعُرُ فى نفسها بأنها امرأة ، حتى لو استطاعت أن تصطنع لوجهها شاربا ولحية ، ولكنها مع ذلك تحاول أن تكون رجلا ، وفى هذه المحاولة نفسها البرهانُ كلُ البرهان على أنها لا تستطيعُ ، ولقد يدفعها الغلوُ فى هذه المحاولة إلى أن تبالغَ فى كل ما يُخَيَّل إليها أنها تقترب به من صفات الرجولة ، حتى لَتُوشِكُ أن تكونَ رجلا أكثرَ من الرجل ... !

هذه الأذرع العارية ، وهذا الصدر المكشوف ، وهذا الصوت الذى يجلجل فى الترام وفى السيارات العامة بالأحاديث الخاصة ، إن هو إلا مظهر من مظاهر المرأة التى تَزْعُم لنفسها أنها لن تبلغ منزلة الرجل إلا أن تخلع الحياء الذى هو أخص صفات المرأة وأجمل زينتها .

ماذا أقول وبماذا أتحدث ؟ أرأنى قد وصلت إلى موضع الاقناع فى نفوسكم ولما أنته إلى ما أريد ، حسبى هذا الآن وحسبكم ، وحسبُ كل فتاة أن تعلم أن الله خلقها أنثى وركّب فيها غرائز الحب والرحمة والحنان والعطف والمواساة والترفق ، هذه الصفات التى اجتمعت للفتاة ، وإنها لفى كل فتاة ، هذه الصفات ليست من صفات القاضى ، ولا النائب ، ولا الحاكم ، ولا المدير ، قد تكون الرحمة شيئاً جيلاً ولكن الحاكم الصارم أقرب إلى عدل السماء

كلية الآداب زينب الرافعى

عدو المرأة

للسيدة وداد سكاكيني

ما لأيدينا حيلة بأبي العلاء ، فلقد أتى على وفاته ألف سنة أو ما يزيد . لقد كانت المرأة بغيضة إلى نفسه ، كريهة على سمعه ، ولو استطاع أن يبيد من الدنيا كل أنثى لفعل . فواحربا مما في لزومياته عن بنات حواء ! ما لنا حيلة به فلقد مات وخلد علينا مقاذع الوصف ومطاعن الهجاء . ولعل له عذراً في امرأة أساءت إليه فعد كل النساء مسيئات ، وغضب عليهن ، وقد عرفه القوم فيلسوفاً متشائماً ناقماً على الحياة والناس أجمعين . ثم أتى على أدب العرب حينٌ من الدهر استراحت فيه المرأة من أعدائها والساخرين منها حتى كان زمننا وجاء توفيق الحكيم

يقول الناس عن توفيق الحكيم إنه عدو المرأة ، ويقول هو ذلك عن نفسه تياهاً مباهياً ، ثم جد في قوله حتى كتب قصته (عدو المرأة) فعجبت له وقد ألقى سلاحه أمام ناتالي الراقصة البولونية ، وعجبت من مذهبه في البغضاء فسألته هل أبغض أمه وأخواته وخالاته وعماته ؟ وهل كان رجلاً من حمل به ثم ولده فملأ الدنيا بتوفيق الحكيم وشغل الناس بأدبه الرفيع ؟

إذا أقام توفيق الحكيم على رأيه واستبد به فليعش في عالم غير عالمنا ، فإن من جنسنا الشمس والأرض ، ومن أنوثتنا الحياة. وليحص الأسماء في المعاجم فيجد فيها الكثير مؤنثاً كالمرأة ، وليترك الزهرة لا يشمها والتفاحة لا يأكلها ، وليعش وحده في كون من الرجال ممن طالت لحاهم وعرضت مناكبهم وخشنت أصواتهم وقست قلوبهم ، وليترك النساء الرعابيب ، والغيد الأماليد لغيره من الرجال

ولكن على رسله ! ألم تلهمه المرأة رواياته الرائعة ، ومقالاته البارعة ؟ ألم تكن شهرزاد من النساء ؟

إن من عرف باريس وفيها الغواني الحسان لا يكون عدو المرأة إلا إذا نهل منها حتى ارتوى وقاء كالمثخن الجريح يخرج من القتال وهو عدو له ، ولكنه لا يظل محارباً عاطلاً ، فأهل الفروسية أبداً يدفعهم الشوق إلى استعادة الحرب

المرأة ريحانة من السماء عطر الله بها جنات هذه الأرض وجملها فيض الحنان وفتنة الوجود . أتماري - وأنت تنشد الحق - في سلطانها المطلق ومعانيها التي لا تحد ؟ انظر إلى المتنبي فإن خلود شعره من وحي خولة . وتطلع نحو بيرون فقد مات في سبيل امرأة من اليونان . وتذكر وريث التاج بالأمس أدوار كيف انطلق من قيود العرش ليخضع للمرأة . وإذا كنت مسلماً فإن رسولك أحب كثيراً من النساء

لِمَ تصيخ بسمعك إلى أعداء المرأة وغلاظ القلوب ؟ ألا سامح الله المعري وشوبنهور ، فلقد أورثاك الشنآن ، وطبعاك على التشاؤم . إنهما يسولان لك هـذه البغضاء ليعطلا قصصك من مباهج الأرواح ، ومتع الحياة . إنهما يريدانك على الخمول والفتور ، ولئن كنت في ريب مما أقول ، فاجمع كتبك واحرقها ثم أعد صفها وطبعها ، وهي خلو من ذكر المرأة ، كل من فيها من الأبطال ، رجال في رجال ، ثم انظر ماذا يكون ، إنها ستبلى ويعلوها الشحوب ، وهي معلقة بأبواب الوراقين ، حتى إذا يئس الباعة من عرضها على المعرضين عنها نبذوها وراءهم ، وطرحوها جنبات الدروب حتى يمر بها الكانس فيلمها ويرميها في مطارح الإهمال والبلى . وستمر بك أيام أشد سواداً من الليل تهدهد كبرياءك وتخمد صيتك ، فينساك بعدها الناس ، وتنطفئ من الأدب العربي الحديث شعلة ساطعة ، فإذا صرت إلى هذا الدمار جن جنونك ، وضربت بيدك منضدة الكتب ، فأودت بما عليها واندلع الحبر من دواتك على القراطيس البيض ، فيثور ثائرك وتحطم قلمك وتقذف به إلى حيث لا تمسك به ماحييت

أنت يا عدو المرأة فيك طبع المرأة . يقول الفلاسفة الذين أفسدوا قلبك عليها : إذا أجابت المرأة بلا فإنما هي قائلة في سرها نعم . وإذا أبغضت فقد أحبت ، وإن كثيراً من النساء كن يكرهن الرجال فهوين على أقدامهم مقبلات ، وما أنت يا توفيق الحكيم إلا أشد محب للمرأة وأصدق نصير لها ، تملأ أحلامك بالرواء والبهاء ، وتطوف بروحك كما يطوف الجمال بفنك ، وتراها تسكب في فكرك سراجاً وهاجاً يضيء عبقريتك ، ويلهمك البراعة والابداع . ومن يدرى فلعل وراء آثارك العظيمة امرأة تهزك وأنت تحلم ، وتوحى إليك وأنت تكتب ، من عندها تنفجر

نبوغك ، ومن أنوثتها لم نجمك حتى شهدناه مشرقاً فى آداب العرب ، متألقاً فى سماء هذا العصر . ومن غيرك أجدر بأن يحب المرأة ويحن إليها ويحنو عليها ؟ بل ما يليق بالكاتب المبدع أن يعيش فى الأرض التى لا نمطرها المرأة وتزهو على حواشيها النضرة

ليس كل النساء كجوديت ؛ ولكم بين الرجال من هو «لاندرو» ؛ ولن تكون الحرب إلا ليكون السلم ؛ فإذا شئتها عواناً مائعة كحرب البسوس فستجدن من بيننا الكثيرات تقول كل واحدة لك : أنا عدوة الرجل

« دمشق » وداد سكاكيني

بين الرافعى والعقـــــاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

قرأت ما كتب الأستاذ سيد قطب في العددين السالفين من الرسالة ، وكنت حرياً ألا أعبأ بما يكتب عن الرافعى في أوان حول وفاته ، وقد تهيأ أهله وأحباؤه وأصحابه تتلفت قلوبهم لذكراه الأولى بعد أن سله الموت من بينهم اغترارا

والأستاذ سيد قطب قد أبى له حسن أدبه ، وجميل رأيه ، ومروءة نفسه ، ونبل قلبه ، وشرف مقصده ، وإشراق نقده ، إلا أن ينبش ماضى الرافعى وما سلف من أمره ، ليستخرج حلية يتحلى بها إذ يكتب عن خصومة بين رجلين : أما أحدهما — أنسأ الله فى أجله وأمتع به — فما برح يتلطف للناس بما يستجيد من عمل يجدد به مطارف آخرته ؛ وأما الآخر — رحمة الله عليه — فبين يدى ربه يتقرب إليه بعمل قد أبلى به أثواب دنياه . فلولا أن الميت لا يدفع عن نفسه فى ساعة موته مثل الذي كان يدفع فى أيام حياته ، وأن ذكر الحى أقرب إلى الناس من ذكر الميت — لكان جديراً بنا أن ندع الأستاذ المهذب الفاضل يتكلم بالذي يهوي على ما خيلت له . فليس للأدب اليوم من الحرمة ، ولا فيه من النبل ، ولا عليه من الحياطة والحرص ، ما يحفز أحداً للمراصدة دونه أن يمتهن أو يسترذل

هذا ... ، وقد جعل الأستاذ الفاضل يستثير دفائن الإحن والأحقاد كانت بين الرافعى والعقاد ، ليتخذ منها دليله الذى يفزع إليه فى أحكامه ! ! على الرافعيّ . لا بل على قلب الرافعىّ ونفسه وإيمانه بعمله وعقيدته فيه ! ! ثم لم يرض بذلك حتى نفخ فيها من روح الحياة ، ما جعلها مما يكتب الأحياء عن الأحياء للإيلام والاثارة ، لا للجرح والتعديل والنقد ؛ وكأن الفتنة عادت جذعةً بين الرافعى نفسه وبين العقاد . ولقد بدا لبعض الناس رأىٌ فيما كتب الأستاذ المهذب ، ولكنا نفيناه إذ سُئلنا عنه ، فنحن نعلم أن العقاد لا يرضى اليوم أن يكتب مثل هذا الذى كُتب عن الرافعى . ولقد ساء ظن امرئ بالعقاد ألا تكون للموت فى نفسه حرمة ، حتى يكون هو يعين عليه أو يرتضيه أو يسكت عنه إلا سكوت الغضب والاستهانة

فنحن إذ نكتب فى ردّ كلام هذا الأستاذ الفاضل سيد قطب لا نبغى أن نسدّد له الرأى فيما يحب أن يرى ، فما علينا ضل أو اهتدي ، ولا أن نقيم مذهب الرافعىّ على أصله وقد ذهب سَبيهُ وبقى أدبه ؛ ولا أن نسوء العقاد حفيظة نتوارثها له عن الرافعى أو من ذات أنفسنا ، فما من شيمتنا مثل ذلك ؛ كلاًّ ، بل نكتب لنميط الأذى عن حُرَم الموت ، وكفى بالموت حقاً وجلالاً

ورحم الله الشعبيّ فقد كان يقول : « تعايش الناس زماناً بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس اليوم إلا بالرغبة والرهبة . وأظنه سيجيء ما هو أشد من هذا » ولقد جاء وفات ما نحن فيه ظنونَ الشعبي . فما يتعايش الناس اليوم إلا بثلب الموتى !

وإلا فما الذى رمى فى صدر الأستاذ سيد قطب بهذه النضبة الجانحة من أجل العقاد ؟ ألم يكتب الرافعى للعقاد يوم كان يملك يكتب ويقول ؟ أولم يكتب العقاد للرافعى ما كتب ؟ ثم نامت الثائرة ما بينهما زمناً كان حده الموت . يقول الاستاذ: إنه — هو لا العقاد — « كان مستعداً للثورة والحنق ، لو تناول بعض هؤلاء — يعنى الرافعى ثم غلوفاً — أدبه ؛ بمثل هذا الضيق فى الفهم ، والاستغلاق فى الشعور ... » أفكان كلام سعيد العريان — وهو يؤرخ أحقاداً قد سلها الموت إذ سل أسبابها — هو الذى أثار هذا الحىّ المستعد للثورة على ذلك الميت العاجز عن دفع الثورة ؟ ثم ما الذى يحمله على أن يُلبسَ هذه الثورة جلد النقد ؟ والعجب أن يثير ما كتب « سعيد » حيًّا

ليس شيئاً في الخصومة بين الرافعي والعقاد ، وهو ليس يثير العقاد أحدَ طرفي الخصومة ، وهو الذي يملك أن يقول لسعيد أخطأ أو أصاب ... ! أشهد أن ما بالاستاذ قطب النقد ، ولا به الادب ، ولا به تقدير أدب العقاد أو شعره . فما هو إلا الانسان وجه يكشفه النور ويشف عما به ، وباطن قد انطوى على ظلماته فما ينفذ إلى غيبه إلا علم الله

وأنا أقدّمُ بين يدي كلامي حقيقة لابدّ من تقريرها عن الرافعي والعقاد ، وذلك أن الرافعي — رحمه الله — لو كان يرى العقاد ليس بشيء ألبتة ، وأن أدبه كله ساقط ذاهب في السقوط ، وأنّ وأن... مما كان يكتب ليغيظ به العقاد من جراء العداوة التي ضربت بينهما — لما حمل الرافعي عناء الكتابة في نقد العقاد وتزييف أدبه وإبطال أصل الشعر في شعره. ولو كان العقاد يرى الرافعي بعض رأيه الذي كتب لما تكلف الرد على الرافعي ولا التعرض له . وكم من رجل كتب عن الرافعي وعن العقاد ونال منهما وأوجع ! ولأنه ليس يدخل في حسابهما ، ولا يقيمان لأمثاله وزناً ، ولا يعبآن بقوله ونقده وثورته — فقد تركاه يقول فيكثر فيملُّ فيسكُتُ . ولم يكن بين أحد منهما وبين مثله كالذي كان بين الرافعي والعقاد

فالرافعي والعقاد أديبان قد أحكما أصول صناعتيهما ، كلٌّ في ناحيته وغرضه ، وأفنيا الليالي والأيام والسنين في ممارسة ماهو فيه وإليه ، وكلاهما يعلم عن عمل صاحبه مثل ما يعلم عنه ، ولا يُظن بأحدهما أنه يجهل قيمة الآخر . فلما كانت العداوة بأسبابها بينهما بدأت قوةٌ تعارضُ قوة ، ورأيٌ يصارع رأياً ، وكان في كليهما طبيعة من العنف والصُّرام والحدّة ، وولع العقاد بإرسال العبارة حين يغضب على هيئتها صريحة لا صنعة فيها ، وأغرى الرافعي بالسخرية والمبالغة في تصوير ما نصبه لسخره وتهكمه على طريقة من الفن ؛ فمن ثمّ ظهرت العداوة بينهما في النقد وفي أذيالها أذى كثير وغبار ملؤه القوارع والفوارس من اللفظ ، وعلى جنباته صور ينشئها أحدهما لصاحبه للكيد والغيظ والحفيظة ، لا يراد بها إلا ذلك . ولقد شهدت أن الذي كان يكتبه الرافعي عن العقاد لم يكن عندي مما يحملني على الحط من منزلة العقاد التي كان ينزلها في نفسي ، بل أستيقن أن الذي يكتبه إنما يراد به النيل من غيظ العقاد لا من العقاد نفسه . وعلى مثل ذلك كنتُ أجد ما يكتبه العقاد عن الرافعي ، فلم يكن نيل العقاد من الرافعي — وأنا أحبه — مما يحملني العداوة له أو يدفع بي إلى الغيظ والحنق والثورة

وخليق بنا وبآدابنا أن نطوي الآن سيئة رجلين قد تفارط أحدهما في غيب الله ، وبقي الآخر تحوطه الدعوة الصالحة بطول البقاء وامتداد الأجل وسداد العمل

والكلمة الأولى من كلمتي الأستاذ سيد قطب ، إنما تدور رحاها ورحى (بغضائه) للرافعي — أو كما قال — عن نفي الانسانية عن ذلك الانسان رحمة الله عليه ، وخلوه من النفس ، وفقدانه الطبع ، وفقره إلى الأدب النفسيّ — وما إلى ذلك من لفظ قد ضل عنه معناه ، وتهافت عليه حده — وأنه كان (رحمة الله عليه) ذكياً قوي الذهن، ولكنه كان مغلقاً من ناحية الطبع والأريحية، وأن أدبه كان أدب الذهن لا أدب الطبع ، فيه اللمحات الذهنية الخاطفة ، واللفتات العقلية القوية ، ولكن الذي ينقصها أنه ليس وراءها ذخيرة نفسية ، ولا طبيعة حية ، إلى غير ذلك مما حفظه الأستاذ من شوارد اللفظ ، وأوابد المعاني ... وأسمع جعجعةً ولا أرى طحناً

وأنا كنت أنتظر بالاستاذ أن يأتي في كلمته الثانية بشيء من النقد يُنسي إليه ما قدم في الاولى من سوء العبارة وشنعة اللفظ في ذكر الرافعي الميت ؛ ولكن خاب الفأل ، وجاءت الثانية تدل من يغفل عن الدلالة البينة ، على أن هذا الاستاذ الجليل لا يزال يستملي ما يكتب من بغضائه . وهان شيئاً أن يكره الاستاذ الجليل رجلا كالرافعي حتى يأكله السلّ من بغضه ؛ ولكن الامر كل الأمر حيث ذهب يزعم فيما يكتب أن هذه البغضاء التي يستملي منها هي النقد ، وأن أحكامه على الرافعي إنما هي أحكام قاض قد لزم المتهم حتى أنطقه وأشهد عليه لسانه ، فاستوعب كلامه ، واستنبط الحجة عليه من ألفاظه ، واستوثق للتهمة من قوله ، ثم بنى (الحيثيات) من فحوى عباراته ، ثم حكم وما حكم على المتهم إلا كلامُه ، ولا شهد عليه إلا لسانُه

فلهذا كان علينا لزاماً أن ننظر في الذي أتى من كلام الرافعي ، ثم قوله في فيه ، واستنباطه الدلائل منه ، وتحليله نفس الرافعي من لفظه حتى جعله مستغلق الطبع مسلوب العقيدة . ثم هو فوق ذلك لايزال يبدئ ويعيد في كلامه ذِكرَ أصدقاء الرافعي

وأصحابه ويسخر منهم ويتحداهم، ويحملهم على مركب وعر، ويضطرهم بين خطتى خسف فى أحكامه على الرافعى، ويخيرهم أن يختاروا للرافعيّ طرفاً من طرفين يحسب أنه يلزمهم شناعةً من شناعاته التى سمّاها أحكاماً على الرافعى. وسنتولّج فيها لا لحب، لا كرامةً للأستاذ الجليل أو استجابة لدعائه، بل لميط الأذى عن نفس مطمئنة لحقت بالرفيق الأعلى راضية مرضية

ولولا أن يقال هَجَا نميراً ... ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بنى كليب ... ...

محمود محمد شاكر

أهمية الترجمة ومراكزها فى التاريخ

٢ – الترجمة فى الإســــلام

صفاتها وفهمها في أوربا

للأستاذ عبد العزيز عزت

نظرية رينان

وتتلخص آراء رينـان ومدرسته فى فهم التراث الإسلامي الذى بنى على الترجمة فى القرن التاسع الميلادى فى ثلاثة أفكار يجدها القارئ فى المحاضرة التى ألقاها رينان بباريس عام ١٨٨٣ (٢٩ مارس)، وعنوانها «الإسـلام والعلم»، والذى أوحى إليه هـذه المحاضرة هو مرور الشيخ الأفغانى بباريس فى ذلك الحين. فرينان نفسه يقول فى كتابه «مقالات ومحاضرات» صفحة ٤٠٣ «منـذ شهرين عرفت الشيخ جمال الدين بفضل مساعدنا الفاضل المسيو غانم، وقليل من الناس تركوا فى نفسى أثراً كأثره. ان مناقشاتى المتعددة معه هى التى دعتنى أن أجول موضوع محاضرتى عن العلم والاسلام» هذه المحاضرة رد عليها الشيخ الأفغانى بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٨٣ فى جريدة الديبا وعقب على هذا الرد فى اليوم التالى رينان فى نفس الجريدة:

أولا — يقول رينـان ما ترجمته: «يمكن أن يقرر الانسان بسهولة تامة التأخر الواقعي لبلاد الإسلام، وتدهور الحكومات القائمة على هذه البلاد، و «انعدام الفكر» فى تلك الشعوب التى تخضع لهذا الدين فقط فى ثقافتها وفى تعليمها، لأن الطفل المسلم حتى العاشرة أو الثانية عشرة من عمره يلحظ فيه نوع من الذكاء؟ وفجأة عند ما ينتبه إلى تعاليم دينه، تأخذه نزعة صوفية تنتقل به إلى نوع من الاغماء العقلى كنتيجة لتلك النعرة الجنونية: ان الاسلام هو الحق والحق وحده. لهذا يشعر المسلم فى أعماق نفسه بنوع من الاشمئزاز للتعلم والعلم، وكذلك لفكرة الجنس والقومية لأن الأسلام يرفع الفوارق بين الأمم [1]»

ثانياً — يقول رينان ما ترجمته «إذا كان فى الحضارة الاسلامية علماء وفلاسفة، وكانت هي أثناء عدة قرون سيدة الغرب المسيحى، وإذا وجد حتى عهد ابن رشد تراث فلسفى يسمى تراثاً عربيا «لأنه كتب بالعربية»، فكل هذا في واقع الأمر كان تراثاً يونانيا فارسيا أو بالأصح يونانيا، لأن العنصر الأساسى فيه أقبل من بلاد اليونان. إن الفلسفة وجدت دائمـا فى بلاد الاسلام ولكنها بعد عام ١٢٠٠ طغت عليها الموجة الدينية وقضت عليها، وساد بعد ذلك علم «النجوم» لأنه وسيلة لتحديد أوقات العبادات [2]»

ثالثاً: يقول رينان ماترجمته «حركة الترجمة العجيبة التى وجدت إبان ذلك كانت كلها من وضع الفرس والنصارى، واليهود والحرانيين، والاسماعيليين، والمسلمين الذين ثاروا على دينهم، وهذه الحركة لم تلق من علماء الاسلام إلا كل اضطهاد، لأن الاسلام فى واقع الأمر يعادى دائماً العلم والفلسفة، وانتهى بالقضاء عليهما. الاسلام صارم يتحكم فى العبد وفى دنياه وفى آخرته، هو ذلك القيد الثقيل الذى لم تعصب بمثله الانسانية فى تاريخها... لا يمكن أن نطلب من العلم ولا من الفلسفة احترام الاسلام، كما لا يمكن أن نطلب من المكتشفات الحديثة والعلم الحديث احترام رجال الدين عامة [3]»

---

(١) أنظر كتابه «مقالات ومحاضرات» صفحات ٣٧٦ و ٣٧٧

(٢) أنظر فى نفس المحاضرة وفى نفس الكتاب المتقدم ذكره صفحات ٣٧٨ و ٣٨٦ و ٣٨٩ و ٣٩٠

(٣) أنظر نفس المحاضرة فى كتابه «مقالات ومحاضرات» صفحات ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦

الرد على نظرية رينان

أولا — إن ما يأخذه رينان على بلاد الاسلام من تأخر لا يمكن أن يرجع إلى الاسلام ومبادئه ، لأن هذا الدين وهذه المبادىء كانت في يوم ما من أيام التاريخ وسيلة للانتشار والحضارة والتقدم أثناء ازدهار الاسلام خاصة في عهد الرشيد والمأمون وهو ما يشابه عهد شرلمان في أوروبا ، وأن هذا الانتشار وهذا التقدم كان له الأثر الطيب الذي لم ينكره الأوربيون أنفسهم خصوصاً في حركة الترجمة التي قام بها علماء اليهود الأعلام في أسبانيا وآباء الكنيسة إبان القرن الثالث عشر الميلادي ، وأن مرجع هذا التأخر يعزى في واقع الأمر إلى أسباب تاريخية محضة لا مذهبية هي : أن إغارة الترك والتتار والمغول ، وهي أمم من « تجر » الشعوب بائسة في الفهم والحضارة ، قد عاقت تقدم الاسلام ومنعت ازدهاره (اقرأ فاجيرى عن الاسلام) ، وبجانب هذا فان الاسلام دين كسائر الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية ، فما يؤخذ عليه يمكن أن يؤخذ على هذه الأديان ؛ ومع ذلك فهو يمتاز عنها بأنه لا يمكن للباحث أن يعثر فيه على نص يحرم به العلم والتعلم كالذي نجده مثلاً في « الانجيل » باب القديس بولس ، البند الخامس . ثم لا نجد في الاسلام قوة تتوسط بين الله والعبد تسيطر عليه باسمه تعالى كسيطرة الكنيسة إبان القرون الوسطى . وكذلك في العهد الحديث نجد فرقاً بين أن يطلع القارىء على ما كتبه شيخ الاسلام فضيلة الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي عن « الأخاء في الاسلام » — وقانون الكنيسة الصادر في ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٨ الذي به يحرم بيوس العاشر على أتباعه المساهمة في الحركة العلمية الحديثة ، واضطهاد روح التجديد في كل شيء .

ثانياً — أما أن تكون الثقافة الاسلامية في أساسها ثقافة يونانية ، فهذا ليس بعيب على الاسلام ، لأن المطلع على نهضات الأمم في التاريخ يقرر أن هذه النهضات بنيت دائماً على عنصرين أولاً : عنصر الإيمان الذي هو السبيل الوحيد للتسيطر على النزعات الجامحة « لقطيع » البشر والوصول بهذا الجمع الحاشد من عباد الله إلى أنبل الغايات الدنيوية والأخروية . وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الدين [1] والثاني : هو عنصر العقل الذي هو السبيل لتهذيب ملكات السادة من الناس ومن يتصدى للرياسة وهذا عن طريق العلم ، والعرب في هذا الباب أصل من الرومان والأمم الأوربية الحديثة أولا : لأنهم خلقوا هجرة الإيمان بخلق دين « جديد » يمثل « عبقريتهم الخاصة » وطابعهم الخاص وفرضوه على الناس بالخيار ، وهذا ما لم يصل إليه من تقدم ذكرهم من الشعوب . ثانياً : أنهم مهدوا لخلق هجرة العقل وهم في ذلك مثل سائر الأمم وإنما فاقوهم فقط في أن ترجماتهم كانت أكمل وكانت أصح ، وعن هذه الترجمة نقلت الترجمات اليهودية والنصرانية ، وعن هذه الترجمات الأخيرة خلق أرسطو من جديد في أوروبا إبان القرن الثالث عشر فكان « بدعة » وثنية في وسط سادت فيه المسيحية بنزعتها الصليبية ، وهذا مهد حرب العقل الحديثة بين باكون وديكارت من ناحية ، وأرسطو العربي المتغرب من ناحية أخرى [2]

ثالثاً — أما أن يأخذ رينان على حضارة الاسلام أنها حضارة بنيت على عناصر خارجية كالفرس والنصارى واليهود ... وهلم جرا ، فالتاريخ يحدثنا أن الحضارة المسيحية في القرون الوسطى بنيت أيضا على مثل ذلك ، فالمذهب الرسمي للتفكير في المسيحية هو مذهب للقديس توماس (اطلع على مكتوب الكنيسة الصادر في ١٤ يناير سنة ١٩٠٤) وهذا المذهب يتأثر بمذهب أرسطو وبني في أصله على حركة الترجمة في القرن الثالث عشر في باريس ، وزعيم هذه الحركة وأستاذ القديس توماس نفسه : هو القديس البير الكبير وهو ألماني الأصل وساعده في أبحاثه علماء اليهود في اسبانيا لأن علم العرب انتقل إليهم في ذلك الحين ، (اقرأ منك في كتابه « الفلسفة العربيه واليهودية ») ولهذا عندما يهتم الكردينال مرسييه بإصلاح التعليم الكاثوليكي ضد حركة التجديد في القرن العشرين يقول حسب تعاليم الكنيسة بتعلم اللغة العربية حتى يقف المسيحيون

(١) إقرأ جوسان « نفسية الجموع البشرية »
(٢) اقرأ أستاذنا جلسن بالكليج دي فرانس « نزعة الفلسفة في القرون الوسطى » وأيضاً « أثر فلسفة القرون الوسطى على فلسفة ديكارت » وأيضاً مقالة بويخ « هل قرأ باكون الكتب العربية »

فى أوروبا على وصول مذهب القديس توماس (إقرأ مكتوب الكنيسة الصادر فى ٢٧ مارس سنة ١٩٠٦) ، ثم إن العناصر الخارجية فى أى زمان وفى أى مكان هى قانون عام بين الأمم لتبادل الثقافة. فالآن الخبراء العالميون ينتقلون من وطن إلى وطن فى أرقي الأمم المتحضرة ، والجنود المأجورة أو المساعدة فى الحروب تفعل مثل ذلك ، وفى فرنسا مثلا الآن كثير من زعماء الفكر من أصل أجنبي كالفيلسوف الخالد برغسون وكذلك مدام كرييه ، العلامة المشهور ميرسن ، بل إن أستاذ اللغة الفرنسية نفسها فى السربون (سيبويه الفرنسى) من أصل خارجى وهو العلامة فرتينا ستروفسكى ، ومع ذلك فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يشك فى أن هناك حضارة فرنسية قائمة وأن أثرها معروف فى العالم

ومجمل القول أن رينان هذا رجل يؤمن قبل كل اعتبار بالمذهب الوضعى ، وهو مذهب « العلم » الحديث الذي يبنى على المنهج التجريبى الرياضى فى العلوم الطبيعية ، ويسعى أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل دقة فى أبحاثها عن العلوم المتقدمة . وهذا الفهم فى نظر أتباع هذا المذهب يناقض فى أصوله ما ساد فى تاريخ البشرية من نزعات الفكر التى تتلخص فى نظرهم فى نزعة دينية قالت بالوثنية تارة ، وبعبادة مظاهر الطبيعة تارة أخرى ، وبالتأليه تارة ثالثة ، ونزعة تجريدية خالصة يمثلها العهد اليونانى وهى تبنى كأساس على منطق أرسطو ، والفلسفة الاسلامية تتبع هذا العهد . لهذا خرج رينان على المسيحية ، ولهذا أيضاً اعتبر الترجمة فى الاسلام كنقل حرفى أى الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، وهذه الترجمة ما هى إلا ترجمة مؤلفات أرسطو « بالذات » ، وتعاليم هذا الفيلسوف هى «الوحيدة» التى سادت التراث الاسلامى من أوله إلى آخره ، وأن هذه الفلسفة لاقت الاضطهاد من علماء الاسلام لأن هذا الدين ضد حرية الرأى والتفكير ، فعداء رينان للاسلام وترجمته وفلسفته ، عداء يتعلق إذاً بمذهبه العام الذى ساد فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر . لهذا لزم أن يضاف إلى ردود من عقّب على كتاباته من المسلمين رد جديد ملخص يشتق من طبيعة الآراء والمعارف فى القرن العشرين .

عبد العزيز عزت
عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

١٠ ٪ ٥٠

من برجنا العاجى

فى ورقة منفصلة بين مخلفات « بتهوفن » وجدت هذه الأسطر الدامعة : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة . آه يا إلهى ، دعنى أجدها أخيراً ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلى ، تلك التى قد سُمح لى أن تكون زوجتى »

ومات بتهوفن ولم يُسمح له . أترى الطبيعة عدوة الفنان، تضن عليه بما تمنحه للآخرين ؟ نعم . إنها لتقسو عليه، وإنها لتغار منه أحياناً وتقول له فى لغتها الصامتة البليغة :

— أنت تطلب إلىّ أنا أن أمنحك الحب ؟ لا ، إنى أمنحه كل الناس إلا أنت . إنى أمنحه أولئك المساكين الذين لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ؛ أما أنت فتستطيع أنت نفسك أن تخلق « الحب » . إنك مثلى عبقرية خالقة . كل عملك فى هذا الوجود أن تصنع « الحب » وتمنحه الناس .

وهكذا تتخلى الطبيعة غالباً عن الفنانين العظام ، وتتركهم يبحثون سدى عن السعادة فلا يجدونها كما يجدها الآخرون ملقاة كالفاكهة الناضجة ساقطة تحت الأشجار . إنما هى شيء بعيد ، كلما مدوا إليه أيديهم ابتعد عنهم وتركهم يائسين . عندئذ ينكبون طول حياتهم على كنوز نفوسهم وحدائقها اليانعة يستخرجون منها للناس فاكهة من ذهب وفضة ، تقصر الطبيعة أحياناً عن تقديم مثلها . ولكن الطبيعة تنظر إلى الفنان نظرة التشفى مع بسمة السخرية

— أفهمتنى الآن ، وعلمت أن كلينا يعيش فى الحرمان ، وأن سر وجودنا أن نعطي ولا نأخذ ؟

فيقول لها الفنان فى نبرة ألم :

— نعم ، ولكنك أنت الطبيعة . أما أنا فآدمى مسكين . إنك لا تتألمين ، أما أنا فأتألم ؛ إذ أرى الحياة تزول من تحت قدمى، ولم يسمح لى بحظ قليل من الهناء الذى يسخى به على الآدميين !

على الآدميين ؟ ومن قال انك منهم ؟ عند ما وضع على منكبيك رداء « العبقرية والخلود خلع عنك فى الحال بعض خصائص الآدميين !

توفيق الحكيم

ايضاح وتعليق

بحث في الرمزية

للأستاذ زكي طليمات
مفتش التمثيل بوزارة المعارف

نشر الأستاذ الدكتور بشر فارس تعليقاً ضافياً فى المذهب الرمزى نشرته الرسالة فى عددها رقم ٢٥١ جاء تكملة لبحثه القيم الذي صدر به روايته « مفرق الطريق »

والحديث فى الرمزية شىء يطول ، فلا تخلو مطالعته في مجلة تحرص على أن تقدم لقرائها نبعة من كل ينبوع

بيد أنه يعنينى من تعليق الأستاذ شيئان لهما اتصال وثيق بما سبق أن نشرته عن الرمزية فى هذه المجلة منذ ثلاثة أسابيع ..

الأمر الأول هو ابتهاج الدكتور بشر بأن رانى أعمد إلى بعض تراكيب جرت فى توطئة مسرحيته المذكورة فى التعبير عن معان وألوان فى الرمزية . وهأنذا أبادر بتسجيل ما يزيد فى ابتهاج الأستاذ الدكتور ، بل ويبعث زهوه ، فأصرح بأنى حقاً عمدت إلى اقتباس تركيبين أو ثلاثة تراكيب وجدت فيها التعبير الكامل عن خلجات وآراء كانت تجول فى نفسى منذ أن كنت أدرس الرمزية فى الاخراج والتمثيل فى معاهد أوربا . ولا يسعني إلا أن أهنىء الأستاذ الدكتور على توفيقه فى إيجاد هذه التراكيب وإطلاقها حية قوية تنبض بالمعنى البكر ، وتشق طريقها بين التراكيب الفنية والأدبية لتستقر فى صلب اللغة العربية

أما الأمر الثانى ، فالتباس عرض للأستاذ الدكتور حينما أردت أن أفرق بين طبع الدكتور فارس وطبع غيره ممن عالجوا الرمزية من قريب أو من بعيد ، فأجريت فى مقالى الثانى ما نصه: « فبشر فارس وتوفيق الحكيم يغترفان من مصدر واحد ، الأول يكتب متثبتاً بما تلقنه ... »

ولا يسعني أن أعلق على هذا قبل أن أبدى عجبى من ذلك الالتباس الذى خالط ذهن الدكتور ؛ إذ المعنى جلى واضح العبارة ، يزيده إيضاحاً ما أوردته فى صلب ذلك المقال ، وفى نقدى السابق لمسرحيته « مفرق الطريق » الذى نشرته الرسالة قبل بحثى فى الرمزية .

قلت : إن بشر فارس وغيره من الكتاب الشرقيين يغترفون من معين واحد ؛ وإذا اغترف كاتب من معين ، فمعناه أنه تلقن مبادئ وأساليب معينة . إلا أن هناك من يكتب وقد أخذ متثبتاً بما تلقنه ، ومن يكتب وقد خالط ما تلقنه خيال طارئ

هذا وقد أعطيت الشيطان حقه حينما أنصفت بشر وتوفيق الحكيم بما نصه : « إلا أن لكل منهما طرائقه فى التعبير عن رمزيته » فالأستاذان كاتبان مجيدان فى الرمزية ، ولكل منهما سحره فيما يكتب ، ولا يضير الاثنين أنهما يصدران عن نبعة واحدة مادامت طرائق كل منهما تحمل طابع شخصية مستقلة

وزيادة فى الإيضاح أقول إن منحى بشر فارس فى الرمزية هو منحى يقوم على التأثر الدفين تمازجه الوجدانيات والفلسفة ، فى حين أن منحى الأستاذ توفيق الحكيم يأخذ سمت السخرية بالمواطف ليدلل على إفلاسها أو ليناقش عابثاً هازئاً بمدركات مجردة ؛ وكلتا الرمزيتين لها طلاوتها ، ولها فلسفتها ، ولها أسلوبها فى الكشف عن الغامض والمبهم والتائه فى لفائف الروح

أما ماذهب إليه الدكتور فارس من أن مسرحيته تستقر فى الرمزية المستحدثة Néo-symbolisme فأمر لا يغير شيئاً من منحى مسرحيته ما دامت تصمد إلى الرمزية الأولى التى شرحناها أنا والدكتور بشر . فروايات «إدمون روستان» مثلاً تعتبر من صميم الرومانسية ، وهي مع ذلك من الرومانسية المستحدثة (Néo romantisme) كما يقول النقاد

وما الرمزية إلا خلجة من خلجات النفس خرجت ولها طابع خاص لم يلبث أن خالطته ألوان نفسية جديدة قد تحور من مظاهرها وتبدل من أشكالها ، ولكنها لا تطغى على صميمها ؛ وشأنها فى ذلك شأن أية عاطفة بشرية . ولو أردنا أن نحصى الألوان التى داخلت الرمزية منذ نشأتها لتعذر علينا البحث ولأعيانا الأمر ولوقفنا موقف من يريد أن يقسم الشعرة الواحدة من الرأس إلى أربعة أقسام كما يقول الفرنسيون !

يبقى بعد هذا أن أبدى سرورى بأننى كنت فى طليعة من نوه بمقام مسرحية « مفرق الطريق » وأنا الرجل الذى يشغله

جوله في معرض الفنون (١)

بقلم نصرى عطا الله سوس

يقول بول ڤاليرى فى معرض الكلام عن قصيدته « المقبرة البحرية » إنه ليس من حق الشاعر أن يفرض على قارئه معنى خاصاً لقصيدته ولا أن يفسرها له . فالشاعر قد فسر شعوره فى أبياته فما معنى تفسير هذه الأبيات بعد ذلك ؟ إن التفسير لا يكون إلا فى حالة العجز والقصور. فلكل قارىء أن يستخلص مايشاء إلا إذا كان ممن عناهم المتنبي بقوله : —

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرّاً به الماء الزُلالا

فالشاعر قيثارة تستنطقها الطبيعة ألحاناً تختلف النفوس فى تلقى موحياتها وتفسير معانيها؛ والنفس الانسانية أوسع وأرحب من أن يحدها تفسير . وما يجهله الانسان من نفسه ومما حوله أكثر مما يعرفه معرفة اليقين . والفن رسالة توحيها النفس الباطنة أكثر مما توحيها النفس الواعية . والنفس الباطنة كثيراً ما تلغز وترمز دون أن توضح

وكان الموسيقى الكبير « رافيل » يقول : ليس هناك « فنون » بل هناك « فن » ، فن واحد يبدو طوراً ألحاناً خالصة ، وطوراً كلمات منظومة ، وطوراً خطوطاً وألواناً ، صور مختلفة تعبر فيها الروح القوية عن مشاعرها وإحساساتها — ومن هنا ترى أن ماقاله بول ڤاليرى عن الشاعر ينطبق تماما على الفنان . ولما كنت أعتقد أن الفن تعبير قبل كل شيء ، فقد ذهبت إلى معرض الصور وأنا أقول لنفسى : « انتبه . تبين أى الصور ستوجه نفسك إلى نواحى جديدة فى الحياة لم تسعفك تجاربك بتمليها ؟ وأى الصور ستجدد وتعمق إحساساتك بما عرفته وخبرته . . »

* * *

يتفاوت مستوى الإجادة الفنية بين العارضين تفاوتاً كبيراً ؛ فالى جانب الصور القوية الناضجة نجد صوراً تذكرنا بما كنا نلقاه فى كتب المطالعة الابتدائية من صور ؛ ولا ندرى كيف تسربت هذه إلى المعرض . ونسبة العارضين من الطلبة كبيرة جداً . وقد راعنا فقدان الروح الفنية بينهم تماما . والفنان كالشاعر يولد ولا يصنع . ومدارس هؤلاء تعلمهم إتقان الرسم والتعبير ، ولكن التعبير عن ماذا ؟؟ هذا ما نحب أن نسأل عنه فنانى الجيل المقبل . .

وأغلب من حادثتهم من العارضين لايهتمون إلا بطريقتهم فى رسم الصورة. وهذا قصور بارز ، ولعله أكبر آفة تحل ببعض الفنانين المعروفين . فكل يريد أن يكون زعيم مدرسة وصاحب طريقة خاصة يعرف بها وتنسب اليه. وهذا جميل ومعقول بشرط أن يكون تلقائياً ويتطلبه مثل الفنان الأعلى ومنزعه. وأما أن يركب الفنان الشطط لالغاية أكثر من الشهرة والاختلاف عن غيره ، فهذا مالا يرضاه الفن . فلست أدرى ماالذى يدعو الأستاذ راغب عياد مثلاً إلى أن يقصر فنه على دراسة الأسواق وما شاكلها من نواحى الحياة المصرية التى سيأتى عليها الزمن بعد حين . قيل لنا إن عياداً يود أن يخلق فناً محلياً . وهذه رغبة نبيلة دون شك ، ولكن الفن المحلى الذي يموت لتوه إذا نقل إلى بلد آخر ، غير جدير باسم الفن . ومحلية الفن لاتتنافى مع عالميته . فالفن الاغريقى القديم له مميزات خاصة (وكذا المصرى القديم والايطالى فى عهد النهضة) تمليها البيئة التى نشأ فيها ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون فناً عالمياً يدرس ويستوحى فى كل مكان

ويظهر أننا نخطىء فهم كلمة « محلى » كثيراً . فالفنان عالمى الذات بطبعه وروحه؛ والفن القوى يحقق شرطين : (١) القدرة على البقاء والاستمرار (٢) العالميه . ولكن عندما يعمد الفنان إلى رسم رقصات روحه وهمسات نفسه مضطر إلى أن يختار لها أشكالا وألوانا مما حوله أى من البيئة التى يعيش فيها . وكذا « روح العصر » تدفع الفنان إلى أن يبرز ويؤكد بعض نواحى الحياة ويترك بعضها . فهو يبين لنا تفاعله مع عصره بتوجيه

(١) معرض القاهرة الثامن عشر . افتتح يوم ١٦ ابريل سنة ١٩٣٨ وتنتهى مدته يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٨

المسرح عن كل شيء عداه . ويسرني أيضاً أن أرى هذه المسرحية تشغل تفكير نخبة من الأدباء أمثال أمين الريحانى ، وميخائيل نعيمة ، وحافظ محمود ، وكامل محمود حبيب ، والأب العلامة الكرملي ، وصديق شيبوب وغيرهم . وأعجب وفى مصر نخبة من الأدباء الذين يجردون أقلامهم لكل حادث أدبي ، كيف أن هذه المسرحية الطريفة لم تحرك أقلامهم بالكتابة لها أو عليها ، والرواية كما قلت من قبل حدث فى الأدب العربى الحديث ! زكى طليمات

الأنظار إلى ما هو خافٍ ، وتشنيع ما هو مستهجن ، وتمجيد كل ماهو نبيل ، وهكذا . ولكن عناصر الحياة هي هي في كل زمان ومكان . والبيئة والعصر عاملان لا يكتمل فن بدونهما ، ولكن جوهر الفن واحد في كل زمان ومكان

وحسبنا بعد ذلك أن نذكر أهم الفنانين :

لا مراء في أن الأستاذ محمود بك سعيد أبرز العارضين وأعمقهم شاعرية وإحساساً ، وفنه يفرض نفسه عليك فرضاً : فن ممتلئ قوة ودماً ، ورسوم تكاد من فرط حيويتها تترك لوحاتها وتشارك الأحياء حركة وكلاماً . والفنان يشعرك أنه يحب الحياة حباً لا نهاية له ، ويمجد جمالها تمجيداً تقصر عنه الكلمات وتقربه الألوان إلى النفس بعض الشيء ، وألوانه القوية تقول لك إنه يعتقد أن الحياة جميلة غنية محببة عميقة لا تعرف نفسه سبيلاً إلى الارتواء والاكتفاء مهما عب من معينها . وتجتمع عند الأستاذ سعيد خواص قلما تجتمع عند غيره ، أهمها التوفيق بين التعبير الباطني القوي مع محاكاة الطبيعة . وفنه خير مثال للتعريف القائل بأن الفن هو الطبيعة وشعور الفنان مجتمعين

ولا أعرف أقصداً أم صدفة جاءت لوحات السيدة إيمي نمر قبالة لوحات سعيد بك ، وفن السيدة الفاضلة فن قوي ولكنه نقيض فن سعيد تماماً . ألوان سعيد تدل على الحيوية والفرح ؛ أما فن السيدة إيمي فهو قاتم حزين ، وألوانها توحي للنفس تأمل الفيلسوف الزاهد الذي يركز بصره على الناحية القاتمة من الحياة . وأي نفس لا تهش لمنظر البحر ويطربها انعكاس الألوان والأضواء على سطحه ، وتسلسل أنغامه ، وجيشان أمواجه وما ترسم على وجهه الريح من رموز وأسرار ، ولكن الفنانة تتغاضى عن كل هذا وترسم لك « منظر تحت سطح البحر » وماذا تعرض عليك ؟ عدة هياكل عظيمة « ومنظر طبيعي » يمثل الخريف بأقفاره وبهمومه ووجومه ، «والأمومة» يخالط الأم فيها البؤس والشقاء وعبء الأمومة مع ما فيها من حنان ، « ومكتوفة اليدين » أبلغ ما يمثل لك الحيرة والبؤس والأسى وتفاهة الحياة مجتمعة — ولوحاتها تدل على أن طاقتها الفنية عميقة جداً

وفن السيدة بوسيلون توس (مصرية) فن ناضج ، ويتمثل نضوجها في اختيار الألوان بحيث تعبر عن الجو الباطني للصورة . وأحسن ما يبدو هذا في « الكهولة » حيث يغلب اللون الأصفر الممزوج بالأحمر ؛ وفي « الرجل والزجاجة » — أما « رأس صعيدي » فتمثل روح الوجه القبلي تماماً ، و « رأس امرأة مصرية » تكاد تنطق روعة وشباباً . وبالجملة فهي رسامة شاعرة

وقد قال لي بعض من يعرفون الأستاذ حسين محمد بدوي إنه لا يعرض « فناً » وإنما يعرض طريقته الخاصة . وعلى كل فرسومه تدل على مقدرة فائقة ، ولكن هذا ليس كل شيء ، فما فائدة مقدرة لا يعرف صاحبها كيف يستخدمها . وطريقة الأستاذ لا تتفق إلا وموضوعات وحالات نفسية معينة لو تعدتها إلى غيرها تضر ولا تنفع . ولو عني الأستاذ بهذه الناحية لكان فنه أوقع وأمتع وأبدع . وفن الأستاذ نجيب أسعد يغري بالمقارنة بفن الأستاذ حبيب جورجي ؛ إلا أن الأخير أرحب روحاً وأعمق نفساً . فمناظر الكنائس والأديرة التي رسمها الأستاذ جورجي يبدو فيها جلال الدين وقداسته . أما تلك التي رسمها الأستاذ أسعد ففيها تبدو الوحشة والكآبة التي تخيم على مثل هذه الأماكن . وهناك رسوم تدل على تمكن أصحابها من الرسم ، ولكن تنقصهم الرحابة الفنية . وأهم هؤلاء هم الأساتذة محمد محبوب ، ولبيب أيوب (وحسبه « العود » فهي لا عيب فيها) ونعيم جاب الله ، وإن كانت رسوم الأخير تدل على فهم تام بطبيعة الألوان وذوق دقيق في اختيارها

وهناك طبقة أخرى اكتفت بأن حاكت الطبيعة محاكاة تامة ، ولوحاتهم تدل على تمكن من الصنعة ودقة ملاحظة ، ولكن لا أثر للفن فيها ، لأن الفن شيء والمحاكاة الفوتوغرافية شيء آخر . وأبرز هؤلاء الأساتذة ادموندسوصه ، وهيدايت دانش وجورج صباغ

وعدد الصور الآدمية Portraits في المعرض كبير جداً . وهذه ناحية من نواحي الفن التي يقل فيها المجيدون ، لأن الغرض منها ليس نقل الملامح فقط بل نفسية الشخص ومميزاته الخلقية . ولذا فالفنان مجبر على دراسة من يتصدى لرسم صورته دراسة نفسية عميقة قبل أن يتناول ريشته . ولهذه الكثرة تفسير نفسي مقبول ، وهي أن النوازع النفسية التي تدفع الفنان إلى رسم الأشخاص تختلف ، وبعض هذه الدوافع تنتج فناً أصيلاً ، وبعضها ينتج فناً زائفاً — مثال هذه الأخيرة حب المدح وحب السيطرة والتملك . والفنان الأصيل يحلل مشاعره قبل أن يرسم

وهناك فنان شاب هو موريس فريد ، ولفنه ميزات بارزة أهمها اندماجه النفساني في جو الموضوعات التي اختارها للوحاته ، وألوانه

بعد عام

مصطفى صادق الرافعي

للأديب أحمد فتحي

تلكَ أنغامُهُ ، وهذا نشيدُهْ   رَنَّ فى مِسمَعِ العُلَى ترديدُهْ
أَسْعدَ الليلَ بالأغاريد ، حتى   غمر الليلَ بالمنَى ، غِرِّيدُهْ !
هالكَ أعوادَهُ تمايَلُ فى الرَّوْ   ضِ ، فتهفُو إلى ذَرَاها وُرودُه
كلما هَمَّ بالغِناء تَثنَّىٰ   مثلَ لَيْلايَ فى المشارِفِ عُودُه
طائر دَفَّ فى الدُّجى بجناحَيْـ   ـهِ على النَّهْلِ يُسْتَسَاغ ورودهْ
كلما شارف الموارِدَ رَدَّتْـ   ـهُ شجونٌ يضجُّ منها جليدُهْ !
قَبَّلَ الطلُّ خَدَّهُ ، وتَمادَى   نحو ثغرٍ يحكى الرُّضاب بَرودُهْ
وترامى الدجى على قدميـه   والليالي كأنهن عبيدُهْ !
وهو هيانُ ما يَرُدُّ سؤالاً   بيض أفكارِهِ سواء وسُودُهْ

وخطوطه تمتازان ببساطة معبرة تلائم روح المناظر الطبيعية التى تمثل سلام الطبيعة وسكونها وصفاء شمس مصر

أما فى فن النحت فمن أحسن العارضين الفنان الشاب فتحى محمود على؛ وحسبه «الأمومة»، ففيها كل العناصر التى يتألف منها الفن الناضج ؛ وأديب يس يوسف وإن كان فنه فجاً بعض الشيء إلا أنه يحتوى على العوامل التى تصلح أساساً متيناً لفن قوى ممتاز ، والفنان الايطالى فيتوريو روسين

* * *

وأرجو أن يتاح لى أن أنشر فى الرسـالة قريباً سلسلة من المقالات أبين فيها فلسفة الفن الحديث وأصوله ومذاهب الفنانين المختلفة ومميزات كل مدرسة، وأعرض للنواحى البارزة لفن كل أمة . ورغبتى المتواضعة هى أن يتاح لدارس الفن ومحبيه الاطلاع على هذه النواحى ودرسها فقد لاحظت أنها مجهولة تماما بين كل من تعرفت اليهم . كما أن صور أغلبية من لا أعرفهم لا تدل على عرفانهم إياها

نصرى عطا الله سوس

إن طَوَتْ ذِكْرَهُ الليالى فما زا   لَ عزيزاً ، قديمُهُ ، وجديدُهْ

* * *

إيه يا مصطفى ، وقد طُوِىَ العا   مُ ، ورَفَّتْ على البرايا بنُودُهْ
كيف أصبحْتَ فى مكانك بالخُلْـ   ـدِ ، وأينَتْ صلاتُهُ وسجودهْ
عيشُنَا عارياتُ ربكَ فى الدُّنْـ   ـيا ، وللمتَّقِينَ فيها خُلودُهْ
يمشقُ الناسُ فى مباهجِهِ المجْـ   ـدَ ويَفْنَى طريفُهُ وتَليدُهْ
ما ترى فى معاشرٍ جحدوا الشِّعْـ   ـرَ وقد طابَ فى ذَراهُمْ جُحودُهْ
إنَّ منه لحكمةً تترك القلْـ   ـبَ قعيداً يملُّ منه قعودُهْ !
فيمَ سَعْىُ الأنام والعيش نجمٌ   يبهرُ العين نحسه وسُعُودُهْ ؟
زخرفٌ كُلُّها الحياةُ احتواها   أمَلٌ يَخْدَعُ الرجالَ شرودُهْ !
ما ترى العينُ غيرَ مُلكٍ من الوَهْـ   ـمِ تناهَتْ سهولُهُ ونجودُهْ
سَرِّحِ الطرف ، هل ترَى غير خلق   يتباكى شقيُّهُ وسعيدُهْ ؟!
كذب كلها الحياةُ ، وعمرٌ   ليس يبقى قصيرُهُ ومديدُهْ !

* * *

يا فقيدَ البيان ، والشعر وَحْىٌ   مِنْ عُيونِ السماء تَهْمِى قصيدُه
قد حفظنا عهودَهُ ، لم نُضعها   ولقد طالما أُضيعتْ عُهُودُه
ظَلَّ فينا القريضُ قُدْسَ تراث   أنا بَشَّارُهُ ، وأنتَ لبيدُهْ !
شَدَّ مَا ضلَّ فتيةٌ رغبوا التَّحْـ   ـويرَ فيه ، وشاقَهُمْ تجديدُهْ
زعموا الشعر كالثياب ، بعصر   يَتَشَهَّى استحداثَها فيه غِيدُهْ
قلَّدُوا الغَرْبَ فى نظام القوافى   وهي عِنْدَهُ ما ينبغى تقليدُهْ !
أين تلك الحصباء من ذلك الدُّرْ   رِ صحيحاً يتيمُهُ وفريدُهْ !؟

* * *

يا حبيبَ القرآن ، وهو بيانٌ   لاحَ إعجازُهُ وَعَىَّ حسُودُهْ
لم تزلْ هاتفـاً به تتغنَّى   يبعثُ السِّلْمَ فى النفوس نشيدُه
لك من طُهرِ آيه بركاتٌ   تجزِلُ الأجر للتقى وتزيدُهْ
إن شكوتَ الجحود فى ظلِّ دهرٍ   قد تساوت جراؤُهُ وأسودُه !
فلكَ الغاية التى وَعَدَ الله   ويا حُسْنَ ما أعدَّتْ وعوده
جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرْ   ضُ ، وظلاً ماينطوى ممدودُه

« القاهرة »

احمد فتحى



مطالعات فى « ألف ليلة وليلة »

عبد الله البرى وعبد الله البحرى

قصة فلسفية دينية

للدكتور حسين فوزى

إنى أراه هذا الصياد المعدم وقد عاد من صيده فارغ الجعبة ينتظره بالبيت تسعة عيال وأمهم التى وضعت فى هذا اليوم بالذات مولودها العاشر . أراه فى عودته واقفاً بباب الخباز وسط الزحام وكان « وقت غلاء ، ولا يوجد عند الناس من المؤن إلا القليل فى تلك الأيام »[1] ، يرمق الأرغفة المتراصة بنظر زائغ ، ويستعبر رائحة « العيش السخن » تشتهيه نفسه . أراه ماثلاً أمامى هذا الصياد « الغلبان » خرج صباح اليوم يلقى الشبكة « على بخت المولود الجديد » فلا تصيد إلا رملاً وحصى وأعشاباً . وهو يتساءل « كيف يخلق الله هذا المولود من غير رزق » وقد حفظ من أقوال الأقدمين : « من شق الأشداق ، تكفل لها بالأرزاق . فالله تعالى كريم رزاق »

وإذا بالخباز يناديه ويسأله إن كان يطلب خبزاً . ثم يلح عليه فى أن يحمل منه ما يريد فهو صابر عليه حتى يأتيه الخير . ويرضى الصياد على شريطة أن يقدم شبكته رهناً ، فيرفض الخباز احتجاز الشبكة التى يقوم عليها أود الصياد ، ويعطيه خبزاً بعشرة أنصاف فضة ، ويقدم له عشرة أنصاف فضة « ليطبخ بها طبخة » . على أن يجيئه بسمكة فى الغد .

(١) الفقرات الموضوعة بين أقواس مقتطعة من النص الأصلى للقصة كما هى دون تبديل . وكذلك الأحاديث باقية كما هى فى الأصل . وكل ما اتخذته بشأنها هو ترتيبها حسب الأوضاع المصرية المتبعة فى القصص .

وفى اليوم التالى يخفق فى صيده كما أخفق فى اليوم السابق ، فيخجل أن يقف بباب الخباز . بل هو يعجل بخطاه أمام حانوته ولكن الخباز يناديه قائلاً « ياصياد ، تعال خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت » . ودام الحال على هذا أربعين يوماً حتى سئم الصياد هذه الحياة ، وود أن لم يكن الخبز فى طريقه إلى البحر حتى لا يضطر إلى المرور بالخباز الكريم . ولكن زوجه تشجعه على المضى إلى البحر ، وتشكر الله الذى قيض لهم هذا المحسن

ويذهب الصياد إلى البحر فى اليوم الواحد والأربعين وهو يدعو الله أن يرزقه « ولو بسمكة واحدة يهديها للخباز » : وإذا بالشبكة متثاقلة يسحبها فى مشقة . حتى إذا هى عادت إليه ألفاها تحمل . . . حماراً ميتاً ! وهرب من الرائحة الكريهة إلى ناحية أخرى من الشاطئ . وتثاقلت عليه الشبكة أكثر من المرة السابقة ، حتى إذا ما جذبها إليه خرج منها رجل حسبه الصياد « عفريتاً ممن اعتاد سليمان أن يحبسهم فى القماقم يرمى بها إلى البحر » . وصاح الصياد :

— الأمان ، ياعفريت سليمان !

فيجيبه الرجل :

— تعال ياصياد ، لا تهرب منى فأنا آدمى مثلك . خلصنى لتنال أجرى .

يخلصه الصياد و يعلم من أمره أنه ليس عفريتاً من الجن . فيسأله عمن رماه فى البحر ، ويجيبه بأن البحر مقره ومثواه . فهو من « أولاد البحر » وقع بالشبكة صدفة ، وكان بوسعه أن يقطعها ليخلص نفسه ، لولا أنه « راض بما قدر الله » . ويسأل الصياد أن يعتقه « ابتغاء لوجه الله » . ويتفق وإياه أن يجتمعا فى ذلك الوضع كل يوم ، فيأتيه الصياد بفواكه البر « وعندكم منها العنب والتين والبطيخ والخوخ والرمان وغير ذلك » ويأتيه هو

« بمعادن البحر من مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وغير ذلك » .

ويقرآن الفاتحة ، ويخلصه الصياد من الشبكة ثم يتفقان أن ينادي الصياد عليه من البر كلما أراد ، قائلاً « أين أنت ياعبد الله يابحري ! » فيلبى .

— والآن ما اسمك أيها الصياد ؟

— اسمي عبد الله

— أنت إذن عبد الله البري ، وأنا عبد الله البحري . إنتظر حتى آتى لك بهدية

ويختفى عبد الله البحري في الماء هنيهة تبدو لعبد الله البري كأنها دهر . ويتأسف على تركه هـذا المخلوق يفلت من يديه ، وكان في استطاعته أن يأخذه إلى المدينة يعرضه في الأسواق ، ويدخل به « بيوت الأكابر »

ويعود عبد الله البحري باللؤلؤ والمرجان والزمرد والياقوت ملء اليدين . ويعتذر لأخيه عبد الله البري عن عدم تمكنه من أن يحمل إليه أكثر من ذلك . ولو أن « عنده مشنة للأها له » ويتواعدان على اللقاء في الأيام التالية

وغدا عبد الله البري رجلاً واسع الثروة بفضل صداقته لسميّه البحري . وقد أخفى سره إلا عن الخباز الذي أحسن إليه في عسره . وراح يقاسمه الجواهر البحرية

ولكن هذه الثروة الفاجئة تستثير شكوك الناس . وينتهي الأمر إلى أن يتهمه شيخ الجوهرية بسرقة حلى ابنة الملك . ويقتاده الحرس إلى القصر ، فتنكر الأميرة أن هذه جواهرها . وترسل إلى والدها من يقول له بأن بعض اللآلئ أجمل من لآلئ عقدها . فيغضب الملك وينهر شيخ الجوهرية وأتباعه . فاذا اعتذر الرجل بأن « الصياد كان فقيراً فاستكثرنا عليه هـذا الغنى المفاجئ » صاح الملك فيه وفيمن حوله : « أتستكثرون النعمة على مؤمن ؟ اخرجوا لا بارك الله فيكم »

وسأل الصياد عن قصته فسردها عليه . وهنا يطاطئ الملك الحكيم رأسه هنيهة ثم يرفعه قائلاً :

— يا رجل ، هذا نصيبك . ولكن المال يحتاج إلى الجاه ، وأنا أسندك بجاهي

ثم يزوجه ابنته ويقيمه وزيراً له ، ويحنو على أطفاله العشرة وتكون زوجة الصياد موضع تكريم الملكة « فتنعم عليها ، وتجعلها وزيرة عندها »

وغداة الزواج يطل الملك من النافذة فيرى وزيره وصهره عبد الله حاملاً على رأسه « مشنة » ملأى بالفواكه فينكر عليه ذلك ، ويجيبه صهره بأن لا قبل له بإخلاف ميعاد صديقه عبد الله البحري ، خصوصاً في الظرف الحاضر إذ يحق له أن يتهمه بأن « إقبال الدنيا عليه ، قد ألهاه عنه »

يحافظ عبد الله البري على عهد صاحبه البحري ، ويواصل قسمة الجواهر بينه وبين صاحبه الخباز . ثم ينتهي إلى التحدث بشأنه مع الملك الذي يقول له « أرسل إلى صاحبك الخباز وهاته لنجعله وزير ميسرة »

وربما حسبت القصة منتهية عند هـذا الحد . والواقع أن مجرد استقرار الحال قد يؤذن بختامها ؛ فعبدالله البري يذهب كل يوم بسلة الفواكه يستبدلها بجواهر البحر . وحين تخلو البساتين من الفواكه يحمل إلى صاحبه الزبيب واللوز والبندق والجوز والتين . ويدوم الحال على هذا عاماً تتطور القصة في آخره تطوراً جديداً أسرده عليك

جلس عبد الله البري ذات يوم على شاطئ البحر يتحدث إلى صديقه عبد الله البحري فيبادره هذا قائلاً :

— يقولون يا أخي إن النبي صلى الله عليه وسلم مدفون عندكم في البر ، فهل تعرف قبره ؟

— نعم ، فهو في مدينة يقال لها طيبة

— وهل يزوره أهل البر ؟

— نعم .

— هنيئاً لكم يا أهل البر بزيارة النبي الكريم . فمن زاره استوجب شفاعته . هل زرته أنت يا أخي ؟

— لا ، فقد كنت فقيراً لا أجد ما أنفقه في الطريق . ولم أصبح غنياً إلا منذ عرفتك . والآن وجبت عليّ زيارته بعد أن أحج إلى بيت الله الحرام . وما منعني عن ذلك إلا محبتي لك

— وهل تفضل محبتي على زيارة قبر رسول الله الذي يشفع لكم يوم العرض على الله ؟

— إن زيارته والله مقدمة عندي على كل شيء . وأطلب منك إجازة أزوره هذا العام

— أعطيك الإجازة زيارته . وإذا وقفت على قبره فاقرئه مني السلام . وعندي أمانة فادخل معي في البحر حتى آخذك إلى مدينتي وأدخلك بيتي ، وأعطيك الأمانة لتضعها على قبر الرسول

— يا أخي ، أنت خلقت في الماء ، ومسكنك الماء فهو لا يضرك . فهل إذا خرجت منه إلى البر يصيبك ضر ؟

— نعم ، يجف بدني وتهب عليّ نسمات البر فأموت

— كذلك أنا ، خلقت في البر ومسكني البر . فإذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فأموت

— لا تخف ، فإني آتيك بدهان تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ، حتى لو قضيت فيه بقية عمرك

وعبدالله البرى رجل كله إيمان واستكانة . فهو راض أن يأتيه بذلك الدهان يجربه . ويحمل عبدالله البحرى « المشنة » ويغوص في البحر . ثم يعود بها ملأى « شحماً مثل شحم البقر ، لونه أصفر كلون الذهب ، ورائحته زكية » . ويخبر صاحبه بأنه شحم نوع من الأسماك يقال له « الدندان ، أعظم أصناف السمك خلقة »

— وهو أشد أعدائنا علينا ، وأكبر من أى دابة من دوابكم في البر . ولو رأى الفيل لابتلعه

— وماذا يأكل هذا المشؤوم يا أخي ؟

— يأكل من دواب البحر . أما سمعت المثل القائل : مثل سمك البحر ، القوى يأكل الضعيف ؟

— يا أخي ، إني أخاف إذا طوفت معك في البحر أن يصادفني هذا النوع فيأكلني

— خفف عنك ، فإنه متى رآك عرف أنك ابن آدم فخاف منك وهرب . فالدندان أشد ما يكون خوفاً منكم . لأن شحم ابن آدم سم قاتل له . بل ليكفى أن يسمع صياح ابن آدم فيموت هلعاً

« وتوكل عبدالله البرى على الله ، وخلع ملابسه ودفنها في رمال الشاطئ . ثم دهن نفسه بشحم الدندان وغاص في الماء . وفتح عينيه ومشى يميناً وشمالاً والماء لا يضايقه . وجعل ينزل إلى القرار ثم يرتفع بكل سهولة »

واندفع عبدالله البحرى أمامه دليلاً له في تلك النزهة البحرية النادرة . فرأى عن يمينه وشماله جبالاً . وشاهد أصنافاً عديدة من الأسماك « البعض كبير ، والبعض صغير . منها مايشبه الجاموس ، ومنها مايشبه الكلاب ، وشيء يشبه الآدميين . وكلما قرب عبدالله البرى من نوع هرب هذا منه . فيسأل صاحبه :

— يا أخي ، ما لي أرى كل هذه الأسماك تهرب منا ؟

— مخافة منك يا أخي . فجميع ما خلقه الله يخاف ابن آدم

ووصلا إلى جبل عال ، فمشى عبدالله البرى بجانب الجبل . وإذا بصيحة عظيمة اتجه إلى مصدرها بنظره فرأى شيئاً أسود منحدراً نحوه من الجبل ، وهو « أكبر من الفيل والجمل » . وسمع صديقه عبدالله البحرى ينادى عليه :

— دونك وهذا الدندان ، فهو متجه إلينا في طلبي ليأكلني . صح به !

وصاح عبدالله البرى فزعاً وطائعاً في آن واحد . فإذا بالدندان يقع ميتاً . يتعجب عبد الله البرى ويقول : « سبحان الله ! لم أضربه بسيف ولا بسكين . وها هو ذا على ضخامة جسده لا يتحمل صيحتي ! »

ويدخل الصاحبان مدينة « بنات البحر » ، فيهتم عبدالله البرى بأمر هذه الإناث لا ذكور لها ويتساءل كيف تستطيع أن تخلف نسلاً

— إنهن منفيات في هذه المدينة بأمر ملك البحر . ولا يمكنهن الخروج من هذا المكان ، أو تلتهمهن دواب البحر

— هل في البحر غير هذه المدينة ؟

— كثير

وجعل عبد الله البرى « يتفرج على عجائب البحر » . وقد رأى لبنات الماء « وجوها كالأقمار ، وشعوراً كالنساء . ولهن أيد وأرجل نابتة في بطونهن ، وذنب كذنب السمك امتد من مؤخرتهن » . وكان هذا شأن رجال المدن البحرية

— يا أخي ، إني أرى الإناث والذكور مكشوفي العورة .

— لأن أهل البحر لا قماش عندهم

— وكيف يصنعون إذا تزوجوا ؟

— أهل البحر — فيما عدا المسلمين منهم — لا يتزوجون . وكل من تعجبه أنثى ...

وما زال عبد الله البحرى بصاحبه يدور به على المدائن وأهلها في أغوار البحر مدى ثمانين يوما . فيسأله عبد الله البرى

— يا أخي ، هل بقيت في البحر مدائن ؟

— لو كنت فرجتك ألف عام ، كل يوم على ألف مدينة ، وأريتك فى كل مدينة ألف أعجوبة ، لما أظهرتك على قيراط من مدائن البحر وعجائبه .

— يكفيني هذا ، فقد سئمت أكل السمك ، وأنت لا تطعمنى صباحا ومساء إلا سمكا طريا ، لا مطبوخا ولا مشويا . فرجتني على مدائن كثيرة ، فأين مدينتك منها ؟

ويبلغان مدينة عبد الله البحرى ، فيقوده إلى مغارة ويقول له :

— هذا بيتى . وكل من أراد أن يكون له بيت ذهب إلى الملك وعين الموضع الذى اختاره مسكناً . فيرسل معه الملك طائفة من السمك تعرف بطائفة « النقارين » ، لأن لها مناقير تفتت الجلمود

وإذ يدخلون البيت ، تتقدم ابنة عبد الله البحرى وتبادر أباها بالسؤال ، وقد نال منها العجب أن ترى مخلوقا لا ذنب له :

— يا أبى ، ما هذا الأزعر الذى جئت به ؟

— هذا صاحبى البري يا بنيتى ، من كنت أجىء لك من عنده بالفاكهة البرية . تعالى سلمى عليه

وتتقدم إليه النادة ، وتسلم عليه « بلسان فصيح ، وكلام بليغ » وتقدم له القرى ، سمكتين كبيرتين « كل واحدة منهما مثل الخروف » فيأكل متبرما بهذا السمك النيء

وتحضر امرأة عبد الله البحرى ، وهى « جميلة الصورة . ومعها ولدان ، كل ولد فى يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان فى الخيار » . وما أن رأت عبد الله البرى حتى صاحت :

— أى شيء هذا الأزعر ؟

وتتقدم هى وولداها ، يطيلون النظر إلى مؤخرة عبد الله البرى ويقولون « أى والله إنه لأزعر » ويتضاحكون طويلا حتى يضيق ذرع عبد الله البرى بهذا الضحك فيلتفت إلى صاحبه ويقول :

— يا أخى ، هل جئت بى إلى هنا سخرية أولادك وزوجتك ؟

ويعتذر عبد الله البحري عنهم مؤكداً له أن المخلوق الذى لا ذنب له فى البحر نادر . وأنه إذا وجد واحد من غير ذنب فإنهم يأخذونه للسلطان ليضحك عليه . فلا تؤاخذ هذه المرأة وهؤلاء الصغار ، فعقولهم كما تعرف ناقصة »

وبينما هم فى الحديث يفد عليهم عشرة أشخاص كبار شداد ، ويقولون لعبد الله البحرى « لقد عرف الملك بأنك جئت بأزعر من زعر البر ، وهو يريد أن يراه حالا »

ويأخذونه إلى الملك فيتلقاه ضاحكا وهو يقول « مرحباً بالأزعر » . وجعل من فى حضرة الملك يتضاحكون مرددين « أى والله إنه لأزعر ! »

ويقص عبد الله البحرى على الملك قصة صاحبه ، ثم يستأذنه فى أن يعود به إلى البر « لأنه سئم أكل السمك نيا ، ولا يحب أكله إلا مطبوخا ومشويا » . ويأذن الملك له بالرحيل بعد أن يزوده بهدية عظيمة من درر البحر وجواهره

ثم يعود به عبد الله البحرى إلى مغارته ، ويسلمه الهدية التى يرجو أن يوصلها إلى قبر النبى ، ويصطحبه عائداً إلى البر

وبينما هما فى طريقهما وسط الماء ، يلتفت عبد الله البرى إلى جماعة من أهل البحر يغنون ويرقصون حول سماط ممدود من السمك . فيسأل عما إذا كان عرساً هذا ، ويجيبه عبد الله البحرى : إنما هو مأتم

— أو إذا مات عندكم ميت تفرحون له ، وتغنون وتأكلون؟

— نعم . وأنتم يا أهل البر ، ماذا تفعلون ؟

— نحن نحزن عليه ونبكى . وتشق النسوة جيوبهن ، ويلطمن ويندبن الميت

وهنا يحملق عبد الله البحرى فى صاحبه البرى ، ويستأذنه فى أن يسترد الأمانة . وعند وصولهما إلى البر يقول له :

— لقد قطعت صحبتك وودك ، فلن ترانى بعد اليوم

— لم هذا الكلام ؟

— ألستم يا أهل البر أمانة الله ؟

— نعم

— كيف يحزنكم أن يأخذ الله أمانته ؟ وكيف أعطيك أمانة النبى وأنتم إذا أتاكم المولود تفرحون به ، وقد أودع الله الروح فيه أمانة . فإذا استردها تندبون وتولولون ؟ كلا ، مابى حاجة إلى صحبتكم بعد اليوم يا أهل البر !

ويختفى عبد الله البحرى وسط الأمواج

ويعود عبد الله البرى إلى صهره الملك يقص عليه ما رأى من عجائب البحار

وقد لبث زمناً طويلا يذهب إلى الشاطىء ينادى صاحبه عبد الله البحرى فلا يلبى النداء

وتنتهى القصة بالصيغة التقليدية إذ تقول بأنه أقام والملك نسيبه

وأهلهما فى أسعد حال ، حتى أتاهم هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وماتوا جميعاً . فسبحان الحي الذى لا يموت ، ذى الملك والملكوت

أما أن الموت مفرق الجماعات فليس من شك فى ذلك . ولو أنه يشترك فى هذا مع الحياة ذاتها ، فقد تكون الحياة مفرقة الجماعات ، ويمتاز الموت عنها بأن مفرقته نهائية لا مرد لها فى هذه الدنيا

وأما أن الموت هادم اللذات ، فهو أيضاً نهاية الآلام . وصاحب أو أصحاب قصص « ألف ليلة » هم آخر من يتكلمون عن اللذات ، وعن أن الموت هادمها . فان أبطال قصصهم يلاقون الأهوال ، ويعانون آلام النوى والبعاد والفقر ، وغير هذا من متاعب الحياة . نعم إن القصص تنتهى فى الغالب إلى خاتمة سعيدة ، يحاول المؤلف أن يلقى فى روعنا دوامها حتى يجيء مفرق الجماعات وهادم اللذات ، إلا أن هذا أمر نشك فى صحته كثير الشك

وهذه مسألة ثانوية على أية حال . والأهم لنا أن نكشف عما فى قصة « عبد الله البرى ، وعبد الله البحرى » من نفحة دينية عميقة ، تجعل لها مقاما خاصا بين قصص « ألف ليلة »

فهذا رجل معدم كثير العيال تقول القصة بأنه لا يملك إلا شبكته ، يروح بها كل يوم إلى البحر . فان اصطاد قليلا باعه وأنفق على أولاده بقدر ما رزقه الله . وإن اصطاد كثيراً « طبخ طبخة طيبة ، واشترى فاكهة ، وما زال يصرف حتى يأتى على آخر ما معه وهو قائل فى نفسه : رزق غد يأتى غدا » ويوم تضع زوجته مولودها العاشر يخرج على بركة الله تعالى إلى البحر « على بخت هذا المولود الجديد » فتقول له امرأته « توكل على الله »

يمارس هذا الرجل الفقير وزوجه إذن فضيلة من الفضائل الدينية بإيمان كامل . ولكن التجربة فى الولد العاشر كانت شديدة الوقر على الصياد . فقد مضى عليه أربعون يوماً لا يجد فى شبكته رزقا .

وهنا تنتقل بنا القصة إلى طبقة اجتماعية أرقى قليلاً من طبقة الصياد . وتقدم لنا مثلا جديداً من أمثلة الطيبة والورع فى صاحب الخبز الذى يتكفل بأود الصياد وأسرته أربعين يوماً دون تذمر وفى لباقة مؤثرة إذ يؤكد للصياد أنه لا يعطيه إحساناً . بل هو محاسبه يوماً على ماقدم من خبز وعشرات فضة ، ولكن عندما يأتيه الخير ، لا قبل ذلك . ولندع القصة نفسها تتكلم ، فتفصح لنا عما انطبعت عليه نفس هذا الخباز من الخير :

« ووقف الصياد ينظر ويشم رائحة العيش السخن . فصارت نفسه تشتهيه من الجوع . فنظر إليه الخباز وصاح عليه : تعال ياصياد . أتريد عيشاً ؟ فسكت . فقال له : تكلم ولا تستح فالله كريم . إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك ، وأصبر عليك حتى يجيئك الخير »

ثم انظر إلى امرأة الصياد يشكو لها زوجها أمره مع الخباز فتقول له : الحمد لله الذى عطف قلبه عليك . هل آذاك بكلام ؟ فيجيبها : كلا ، وهو يقول لى دائماً ، انتظر حتى يأتيك الخير . وأنا أسألك ، متى يجيء الخير الذى نرتجيه ؟ ويكون رد الزوجة : الله كريم . فلا يتردد الصياد فى القول : صدقت . ويحمل شبكته إلى البحر فى اليوم الأول بعد الأربعين .

فاذا بها تصيد حماراً ميتاً « منفوخاً ورائحته كريهة » فيقول « لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ثم يكاد إيمانه يتزعزع وهو يخاطب نفسه « قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة ، مابقى لى رزق فى البحر ، دعينى أترك هذه الصنعة . وهي تقول : الله كريم سيأتيك بالخير . فهل هذا الحمار الميت هو الخير ؟ »

ويتوجه فى غم شديد إلى مكان آخر مبتعداً عن رائحة الحمار وباقى شبكته . فتحمل إليه الخير كل الخير ، فى صورة سميه البحرى يبادله فاكهة البر بجواهر البحر .

ويقينى أن صاحب القصة لم يختر اسم عبد الله اعتباطاً . وهذا الاسم يعزز ماأنا ذاهب إليه من أن القصة يحركها روح دينى ، ويسرى فى أعطافها إيمان عميق . فلم يختص المؤلف عبد الله البرى وعبد الله البحري بهذا الاسم . فهذا الملك يسأل صهره عمن يكون صديقه الخباز وما اسمه ، فيجيبه الصياد « اسمه عبد الله الخباز . وأنا اسمي عبد الله البرى . وصاحبي اسمه عبد الله البحرى » فيقول الملك « وأنا اسمى عبد الله ، وعبيد الله كلهم إخوان »

وهانحن أولاء نرى شخصاً آخر من أشخاص القصة — وليس من الطبقة الفقيرة كالصياد ، ولا من الطبقة الوسطى كالخباز ، بل هو ملك البلاد بالذات — مفعماً إيماناً وثقة بالله ، فهو قائل لشيخ الجوهرية ومن جاءوا يتهمون الصياد بالسرقة « ياقبحاء ! أتستكثرون النعمة على مؤمن ؟ لماذا لم تسألوه أولا ؟ ربما رزقه الله من حيث لا يحتسب . أخرجوا ، لابارك الله فيكم »

وهو القائل بعد سماعه قصة الصياد « يارجل ، هذا نصيبك ولكن المال يحتاج إلى جاه ، فأنا أسندك بجاهى » ثم يزوجه الأميرة ابنته

وماذا تتوقع أن يكون اسم الأميرة بعد هذا ؟ أم السعود ! لو أن كاتباً رمزياً كتب قصة الايمان لـما اختار للأميرة اسماً أفضل من هذا . « أم السعود » ، السعود الذى يلمع فى طالع المؤمن القانت .

وتعال معى إلى القسم الثانى من القصة ، ماذا نرى؟

هذا عبد الله البحرى يسأل صاحبه عن قبر النبي ويقول : « هنيئاً لـكم يا أهل البر بزيارة هذا النبي الـكريم » . ثم يدعو عبد الله البرى أن يغوص بصحبته فى أغوار البحر ليحمله هدية إلى قبر النبي

وتتجه القصة بعد ذلك اتجاهاً فلسفياً واضحاً لمن يطالع ما وراء السطور . فهذا البحر مظهر من مظاهر الـكون تتضاءل حياله الأرض التي نعرفها . وها هو ذا « الدندان » أكبر أحيائه طرا يأكل من دواب البحر « أما سمعت المثل القائل : مثل سمك البحر القوى يأكل الضعيف ؟ » حكمة الخالق يصدع بها المخلوق

ويخشى عبد الله البرى إذا نزل مع صاحبه إلى البحر « أن يصادفه هذا النوع فيأكله » . وهنا يكشف صاحب القصة عن مرماه الفلسفى ، إذ يؤكد لنا بأن « الدندان » يموت لساعته إذا أكل ابن آدم . وليكف أن يصيح فيه الانسان صيحة ليموت . أى تأمل ما تميز به الانسان الضعيف بجسمه، فهو يستطيع بعقله أن يتغلب على المخلوقات الأخرى . وهذا عبد الله البرى يسبح فى أمواه البحر فيرى جميع الأحياء البحرية تهرب منه . ويسأل صاحبه عن هذا فيجيبه « مخافة منك ، لأن جميع ما خلقه الله يخاف ابن آدم »

ويشهد بطل القصة عجائب البحار كما تخيلها المؤلف . وخياله فى أغلبه شبيه بتخيلات الشعوب الفطرية التي ترى فى آلهتـها صوراً مما تشاهده حولها ، إنساناً أو حيواناً أو جماداً . ففى هذا البحر الخيالى جبال ووهاد ومدائن . وفيه « شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر ، وشيء يشبه الـكلاب ، وشيء يشبه الآدميين » وخيال صاحب القصة قائم على الـ anthropomorphisme حسب ما اصطلح عليه الباحثون في نفسية الشعوب الفطرية . فهو يصور بعض الأحياء البحرية تصويراً آدمياً مع تغيير طفيف اقتضته حياتها فى الماء : كالزعنفة الذنبية ، وتلك الأطراف النابتة من بطونها . ولهذا التصور أصل من الواقع . وربما سمع صاحب القصة أو رأى نوعاً من القفم يعرف بالدوجونج Dugong لا تزال تعرض بعض نماذجه على شواطئ المحيط الهندى باعتبارها « أبناء البحر وبناته » . وقد عرض علىّ بعض اليمانيين فى عدن ذكراً أو أنثى من تلك الحيوانات اللبونة على هذا الاعتبار

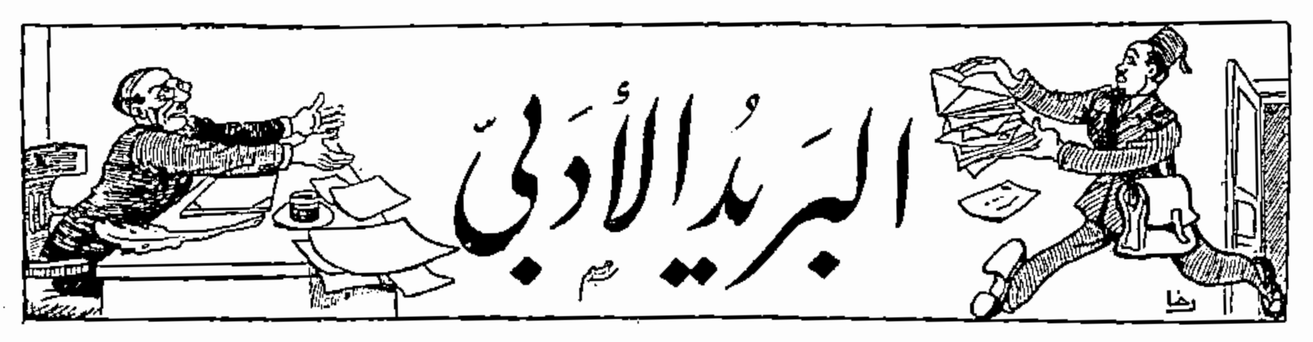
وللقارئ أن يفاضل بين قصة « عبد الله البرى وعبد الله البحري » وبين قصص « السندباد » — وربما عالجت تلخيصها على هذه الصفحات يوماً — ليرى فى هذه الأخيرة خيالاً أغزر مادة وأبرع أسلوباً . وفى رأيى أن الخيال فى قصص « السندباد » غاية ينتهى إليها الوصف . بينا هو فى قصة « عبد الله » واسطة لغاية هى ما نحن بسبيله من المرامى الفلسفية للقصة

وأود بهذه المناسبة أن أشير إلى قصيدة « شيلر » وعنوانها « الغواص » [1] . وفيها يرسم لنا خيال الشاعر « الرومانتيكى » صورة لأعماق البحر من نوع يختلف كثيراً عما نحن بصدده فى قصة « عبدالله البحرى » . إذ يطلق « شيلر » العنان لخياله فى أسلوب جمع كافة المميزات الشعرية . بينما ينهج صاحب قصة « ألف ليلة » نهجاً واقعياً مباشراً فى وصف عالم البحار . كأن عبدالله البحرى أحد الأدلاء يشرح للسائح عبدالله البرى ما تقع عليه باصرته تباعاً

ورغم هـذا الأسلوب الواقعى ، يلقى علينا المؤلف درسه الدينى من طرف خفى . ويظهرنا على قدرة الخالق بمـا يسرده علينا من وصف أنواع غريبة من المخلوقات . وإذ يبدى عبدالله البرى عجبه لـكثرتها ، يجيبه عبدالله البحري « وأى شيء رأيت من العجائب . أما سمعت المثل القائل : عجائب البحر أكثر من عجائب البر ؟ » . وهذه حقيقة لا مغالاة فيها ، يعرفها كل من درس علم الأحياء

ويدخل الصديقان مغارة عبدالله البحرى . وهنا منظر عائلى كله أنس وبهجة . تأمل كيف تتندر الأميرة بالضيف «الأزعر»

(١) أعلن رجائى أن يتفضل حضرة الدكتور محمد عوض بترجمة هذه القصيدة لمجلة « الرسالة » . ومع يقيني بأن ترجمة كائنة ما كانت لا تستطيع أن تبقي على توقيعها الموسيقى الرائع ، إلا أن ما نعرفه عن مترجم « فاوست » و « هيرمان ودوروتيا » يدفعنا إلى الأمل أنه لا يحرم قراء العربية من قصيدة شيلر Der Taucher



المغرب الأقصى كما هو اليوم

في الأسبوع الفائت ألقى ضيف مصر الكريم الأستاذ محمد المكي الناصري مدير معهد الأبحاث المغربية في تطوان محاضرة عن « المغرب الأقصى كما هو اليوم » بدأها بالكلام عن المغرب قبل دخول الاسلام إليه وقال إن هذه الكلمة كانت تطلق على الجزائر وتونس ومراكش قبل أن يفصلها الاستعمار الأوربي بعضها عن بعض فأصبحت كلمة المغرب تطلق على مراكش فقط. ثم تكلم عن حدود البلاد ومناخها وخصب تربتها وغناها بالمعادن وبما هو كفيل بإيجاد نهضة زراعية وصناعية كبيرة لو أتيح لها ما تصبو إليه وتجاهد من أجله وهو نيل الاستقلال التام وإدارة شؤونها بنفسها. ثم تكلم عن أهل البلاد وعناصرهم الأولى قبل الاسلام وقال إن الفتح الاسلامي لما دخل هذه البلاد وحد عناصرها المختلفة

ثم ألقى المحاضر نظرة على الأسر التي تعاقبت على الحكم في المغرب. ثم تكلم عن عهد الاحتلال الحالي وأفاض في وصف مطامع المستعمرين وجشعهم وقال إن فرنسا لما دخلت البلاد أدخلت نظاماً من مقتضاه إيجاد سلطتين سلطة مغربية والأخرى فرنسية وهما سلطتان متباينتان كثيراً ما تتغلب إحداهما على الأخرى ولهذا قضى على الوحدة فتجزأ المغرب وأعطيت لفرنسا المنطقة السلطانية ولأسبانيا المنطقة الخليفية واعتبرت منطقة طنجة منطقة دولية

وتوجد بجانب كل إدارة وطنية إدارة أخرى أجنبية تهيمن عليها وتكاد تجعلها صورية، فالسلطة التشريعية في يد الأجانب، أما السلطة التنفيذية فيوجد في كل مدينة إلى جانب الحاكم الوطني حاكم يطلق عليه لقب « الباشا » وحاكم القرية يلقب « بالقائد » ويلقب الحاكم في المنطقة الخليفية (بالمراقب) وفي المنطقة السلطانية

وانظر إلى دخول ولدى صاحب البيت « وفي يد كل ولد فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان في الخيار »

فهذه القصة اشتملت على عناصر كثيرة تجعلها في رأيي من أحسن قصص « ألف ليلة وليلة » بل ومن أفضل القصص في آداب العالم. كتبت بأسلوب واقعي يتجنب فيها الكاتب الارتفاع الشعري. وصاحب القصة مع هذا يتدرج بك من عالم الواقع حيث الصياد كثير العيال يكدح لكسب قوته وقوتهم، إلى عالم بين الواقع والخيال حين يقع عبد الله البحري في شباك عبد الله البري، إلى عالم كله خيال حين ينزل الصاحبان إلى أغوار البحر يتجولان في أرجائه دون أن يتغير في أسلوبه كأن الأمر عادي، وكأن الصاحبين غادرا البصرة أو مسقط إلى بلاد السند أو زنجبار

والكاتب في هذا لا يغفل عن غرضه الفلسفي الأول: قدرة مبدع الكون، وقوة الايمان، والخضوع لأحكامه. ومع أنه لا ينسى أن يميز الانسان على سائر المخلوقات كما رأينا، إلا أنه يلقى عليه درساً كبيراً تختتم به القصة. ذلك حين يغضب عبد الله البحري إذ يسمع بأن الانسان يبكي موتاه، وهم في البحر يفرحون إذا ما استرد الله أمانته، أي « الروح التي أودعها الجسد ».

لا مراء إذن في أن قصة « عبد الله البري وعبد الله البحري » من أولها إلى آخرها تختلج بروح ديني عميق تميزت به عقائد أهل الشرق عن عقائد أهل الغرب. هو روح استكانة المخلوق للخالق، واعتباره الخضوع لأحكامه صورة مثلى للايمان

ولسنا في حاجة أن نعرف إذا كان صاحب القصة قصد إلى ذلك أو لم يقصد. فأمامنا القصة بنصها في الجزء الرابع من كتاب « ألف ليلة وليلة ». وقد حللنا العناصر التي تتألف منها واستخرجنا من بين سطورها ذلك الروح بلا عناء، ودون أن نجد فيها ما يناقض أو ما يضعف الاستنتاج الذي خرجنا به. محمد فوزي

(بالحاكم) وأسهب فى وصف مساوئ هـذه الادارة المزدوجة وقال إنه توجد هناك محاكم للأحوال الشخصية تصدر أحكامها وفقاً لمذهب الامام مالك وتوجد إلى جانبها « محاكم القواد » للفصل فى قضايا الجنح والسرقات وغيرها . ويوجد مجلس أعلى تستأنف إليـه أحكام محاكم الجنح ومجلس شرعى تستأنف إليه أحكام المحاكم الشرعية

ويوجد قسم كبير من الأراضى موقوف على التعليم الدينى ولـكن الاحتلال وضع يده عليها فحول كثيراً منها فى غير الوجهة التى أوقفت عليها ماعدا المنطقة الخليفية فقد سلمت الأراضى الموقوفة فيها إلى يد الخليفة . وقال إن التعليم فى البلاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام رسمى ودينى ووطنى ؛ فالرسمى مهمته الـكبرى فى المنطقتين هى بث روح الاستعمار بين الأهالى ، وقد استصدروا أمراً فى المنطقة الخليفية بتعريب التعليم فيها ولا يزال السعى مبذولاً لتنفيذه ، أما التعليم الوطنى فيشمل جميع البلاد ، ولـكن الاستعمار أصدر أمره فى اكتوبر الماضى بأن يقتصر هذا التعليم على مادة تحفيظ القرآن فقط ، وأما التعليم الدينى فنحن نطالب بتجديده وتنظيمه وفق النظام المتبع فى الازهر الشريف فى مصر

وبعد ما تكلم المحاضر عن كثرة الأحزاب فى المغرب قال إن البلاد فيها نهضة أدبية وفنية وفيها كثير من الأدباء والمثقفين الذين يعتمد عليهم فى الجهاد لتخليص بلادهم من أيدى المستعمرين . وقد تألفت فيها كتلة العمل الوطنى لهذا الغرض بزعامة الأمير محمد بن عبد الـكريم المعتقل الآن ، وهى تتأثر فى عملها بمصطفى كامل وسعد زغلول وغيرهما من زعماء الشرق

وهنا قويت حماسة الخطيب البليغ فاندفع كالسيل يقول إن ما ننتظره الآن من المشارقة ومن مصر خاصة باعتبارها زعيمة الشرق أن يتجهوا بأبصارهم الى بلاد المغاربة باعتبارها أوسع رقعة فى بلاد شمال أفريقية ومن أكثرها تمدنا ورقيا وأقواها جلداً على الجهاد فى سبيل رفعة شأن الاسلام

فلسطين والأستاذ الأكبر شيخ الأزهر

فلسطين (فيها بيت المقدس) وفى هذا موطنُ (الإسراء) ومتَّصَلُ (قوة الأرض) ب (قوة السماء) « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى »

إنما (القدس) منزل الوحى مغنى كل حبر من الأوائل عالمْ
كُنِفت بالغيوب فالأرض أسرار (م) مدى الدهر والسماء طلاسم
وتحلّت من (البراق) بطغراء (م) ومن حافر البراق بخاتم [1]

فإذا قرأت اليـوم الـكتاب المبين من الأسـتاذ الأكبر (الشيخ محمد مصطفى المراغى) إلى رئيس الوزراء فى الدولة المصرية فقل : إنمـا هو شيخ الإسلام يغضب للدين ، وإنمـا هو إمام المسلمين يرفرف — وقلبه خافق — على إخوته المؤمنين ، والله تعالى يقول : « إنما المؤمنون إخوة » ، فالملّة ملّته ، والأمة أمته ، والقوم فى الدين إخوته . وليست هذه المائدة بأول يد لمصر على فلسطين ، فشكراً ثم شكراً ، ثم شكراً . محمد إسعاف النشاشيبى

تقريب مناهج التعليم بين مصر والشرق العربى

أشرنا من قبل إلى الاتجاه الذى بدا أخيراً فى وزارة المعارف وهو التقريب بين المناهج التعليمية فى مصر والبلدان العربية الشرقية ، والاقتراح القائل بوجوب عقد مؤتمرات دورية تضم المبرزين فى شئون التربية والتعليم فى الحـكومات المختلفة ، ليتذاكروا فيما يتصل بالنهضة العلمية والتعليمية

ونضيف اليوم أن صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف ، قد طلب الملف الخاص بتلك الفكرة ، وباحث فيها صاحب العزة وكيل الوزارة

وقد وافق معاليه على الاقتراح من حيث المبدأ ، وطلب وضع تفاصيل للتنفيذ ، حتى يمكن البدء به فى أول فرصة مناسبة

الصلات الثقافية بين مصر والمغرب الأقصى

قدم إلى مصر الأستاذ محمد المكى الناصرى مدير المعهد الخليفى للابحاث الاسلامية فى مدينة تطوان للتفاهم على إيجاد علاقات علمية وثقافية بين مصر وبلاد المغرب الأقصى وتمكينها بين البلدين الشرقيين الاسلاميين بواسطة وزارة المعارف المصرية والأزهر ومن المشاريع التعاونية التى قدم للتفاهم عنها الاتفاق مع

(١) شاعر الاسلام أحمد شوقى رحمه الله

مشيخة الأزهر على العمل لنشر الثقافة الاسلامية فى بلاده بالطرق النظامية الحديثة التى أدخلت على الأزهر . وإرسال بعثة من بعض أصحاب الفضيلة علماء الأزهر لتدريس علوم الشريعة واللغة وفق هذه الأنظمة وبصفة رسمية ، والعمل لنشر ثقافة الأزهر والاسلام بصفة عامة

ومن هذه المشروعات أن يقبل الأزهر بعثة من الطلبة المغاربة الذين أتموا دراساتهم فى مدارس الحكومة هناك لدراسة علوم الشريعة والتخصص فيها . وقبولهم بكلية الشريعة الأزهرية بصفة نظامية . وستوفد هذه البعثة رسمياً حكومة المغرب

بين العقاد والرافعى

جاءتنا المقالة الثالثة من مقالات الأستاذ سيد قطب ، فرأينا إرجاء نشرها إلى العـدد القادم احتراماً لذكرى الرافعى . ونذكر بهذه المناسبة أننا تلقينا عشرات من المقالات فى هذا الموضـوع لم يراع كاتبوها الأفاضـل خطة الرسالة فى اجتناب فحش القول ومفسول الكلام . لذلك نستميحهم العذر إذا لم ننشر منهـا إلا ما نرى فيه فائدة للقراء وخدمة للأدب

حول كلمة « هال ها » أيضاً

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

بعد التحية : لاحظ الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد الأخير من الرسالة (٢٥٢) على الشاعر « الخفيف » بُعْد كلة « هال » عن المعنى الذى يقصده . وقال فى ختام كلمته تلك إن كلة « هال » هذه تقال لزجر الإبل . والذى أعرفه أن الـكلمة التى تقال لزجر الإبل ليست « هال » ولـكنها « هلا » وقد استعملها المرحوم شوقى بك فى مسرحيته الخالدة « مجنون ليلى » حيث قال :

هـلا هـلا هيــــا اطو الفــــلا طيـا
وتــــرلى الحيــــا للنـازح الصــب

ولقد خشيت أن يكون الأسـتاذ الفاضل قد اشتبه عليه الحديث ولـكننى اتهمت نفسى فعمدت إلى كتب اللغة أستلهمها الصواب فأيد القاموس والصحاح رأيى . فهل للأستاذ الفاضل أن يدلنى على المرجع الذى قرر أن كلة « هال » تستعمل لزجر الإبل أو الخيل بدلاً من « هلا » وله منى مزيد الشكر وخالص التحية

عبد المؤمن محمد النقاش

الموسيقى العربية للبارون رودولف ديرلانجيه

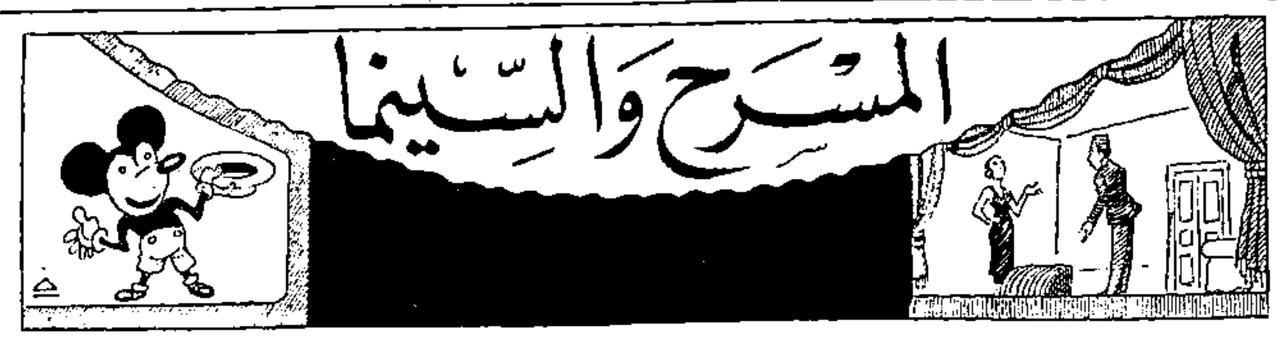
قد نشرنا فى العدد الماضى من الرسـالة (٢٥٢) نقداً بقلم الأستاذ بشر فارس الدكتور فى الآداب من جامعة باريس فى المجلد الثانى من مجموعة التآليف الموسيقية العربية المنقولة إلى اللغة الفرنسية على يد البارون رودولف ديرلانجيه . وقد سألنا بعض القراء عن ناشر هذه المجموعة وعن اسمها باللغة الفرنسية . ونحن نذكرها هنا :

Baron Rodolphe d'Erlanger — La Musique arabe. Tome II. Edition Paul Geuthner, Paris.

ذكرى الرافعى فى محطة الاذاعة الفلسطينية

سافر أمس إلى فلسطين الأستاذ محمد سعيد العريان ، إجابة لدعوة مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس ؛ ليذيع فى تمام الساعة السابعة من مساء اليوم (الاثنين ٩ مايو) من محطة القدس ، حديثاً أدبيًّا عن فقيد العربية الـكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، لمناسبة تمام سنة على وفاته





جولات ومطالعات

في المسرح والسينما

بقلم محمد علي ناصف

اللغة العربية في السينما

اقترح بعض حضرات النواب المحترمين سن قانون يقضي بوجوب استعمال اللغة العربية في مختلف الشركات والمتاجر التي تنشأ في مصر سواء كان أصحابها أجانب أم مصريين . وهذا واجب مشكور أعتقد أن إهماله هو إهمال لكرامتنا ونسيان لقوميتنا وإلغاء لأبسط قواعد استقلالنا

وليس يخفى أن مثل هذا القانون المقترح يحتاج إلى خطوات أو مهلة محدودة يتم في نهايتها تنفيذه . ولكن هناك نواحي أخرى لا يحتاج الأمر فيها لرعاية لغة البلاد واحترامها إلى مثل هذا الامهال ، كالسينما مثلا

فالأفلام الأجنبية التي تعرض بمصر وترد إليها من عدة أمم مختلفة ، تعرض هذه الأفلام بداهة بلغتها الأصلية ، ولكنها تصحب بترجمة على نفس الشريط بلغة ثانية . المفهوم بداهة وعقلا أن هذه الترجمة تكون بلغة البلاد التي تعرض فيها الأفلام . فالفلم الانجليزي مثلا حين يعرض بفرنسا تصحبه ترجمة فرنسية والعكس . والفلم الألماني يشهده الجمهور الايطالي بترجمة إيطالية والعكس

ولكننا مع الأسف الشديد والعجب الأشد نختلف عن الأمم جميعاً ؛ فالترجمة التي تصحب كل فلم أجنبي يعرض بمصر تكتب بإحدى لغتين إما الفرنسية وإما الانكليزية كأنما هذه الأفلام لا تعرض للمصريين ، وكأن المصريين الذين يدفعون — شعباً — إلى أصحاب هذه الدور ويتسامحون — حكومة — مع الشركات المنتجة فلا تقيدها بضرائب مرتفعة ولا بنسبة تحدد من إنتاجها ولو بحجة حماية الانتاج المحلي كما تعمل دول كثيرة ؛ وفي مقابل هذا الكرم لا تكون إلا الاساءة وإلا الاهمال

وما من أحد يستطيع أن يصف هذا الأمر إلا بأنه إساءة وإهمال . فأي عذر تتعلل به هذه الشركات أو أصحاب هذه الدور الذين ينتفخون على حسابنا ومن أيدينا ؟

إن العذر الوحيد الذي قد يقوم نصف قومة في مثل هذه الحالة هو أن تكون لغة البلد غير معروفة إلا لدى قلة لا تستأهل جهداً خاصاً ، ولكن شيوع العربية على ألسنة الملايين وبين كثير من الشعوب ينفي مثل هذا العذر . ولقد رأينا بعض الأفلام القليلة النادرة المترجمة إلى العربية على نفس الشريط فكانت مؤيدة لوجهة نظرنا في هذا الموضوع وهي الوجهة التي قدرها أصحاب هذه الأفلام من حيث ضمان مصلحتهم المادية فضلا عن مصلحتهم الأدبية في اكتساب احترامنا وودنا

هناك حقاً لوحة صغيرة من القماش توضع بأحد جانبي الشاشة لعرض ترجمة عربية ركيكة مقتضبة نسميها ترجمة على سبيل المجاز ؛ وكثير من الدور لا تكلف نفسها وضع هذه اللوحة فتكتفي بانعكاس الترجمة على الحائط .

ولكن هذه الوسيلة الحقيرة لا تجدر مطلقاً بلغة البلاد لغة الدين والعرش والحكومة . هذه الوسيلة الثانوية جديرة بأية لغة أخرى يشاؤها صاحب الفلم ، أما لغة البلاد فقوق مشيئته ولها المكان الأول ، وإلا فنحن في غنى عنه وهو ليس في غنى عنا . ولقد اجتمعت في هذه الوسيلة كل النقائص ؛ فهي تجهد بصر المتفرج باضطراره أن يتتبع الصورة والترجمة في اتجاهين بدلاً من اتجاه واحد ، كما أن الترجمة كثيراً ما تتخلف عن الصورة أو تتقدمها لأن لكل منهما جهازاً خاصاً — فيضيع بذلك كثير من الفائدة على متتبع الفلم ، هذا فضلاً عن نقص الترجمة وعدم الاعتناء بها

إننا لن نسكت بعد عن هذه المهزلة ونرجو ألا يسكت عنها

كذلك أولو الأمر ورجال الصحافة . وكل امرىء يهمه احترام نفسه وبلاده .

الأديب والمخرج

فى حديث عن شئون المسرح والسينما للأديب الانجليزى وليام جرارد مؤلف كتاب الشهر (ابريل) My Wife's The Least of It يرى الأديب أن الوضع الصحيح لمخرج المسرحية أو الفلم أن يكون نفس المؤلف لأنه أقدر من أى إنسان آخر على اختيار الممثلين لشخصياته التى خلقها وعرف صفاتها وللمناظر التى رسمها وتمثل مشتملاتها ودقائقها وللجو الذى ابتدع فيه الحوادث . وهذا رأى له رونقه وبريقه ولكنه يفتقد الحقيقة فى كثير من نواحيه .

فالاخراج فن آخر غير فن التأليف . وهو ليس مقصوراً على اختيار الممثلين ورسم المناظر وحبكة الجو . ولكنه يشتمل على أمور كثيرة لا يستطيع اكتناهها أى فرد بينما قد يستطيع القارئ العادى أن يفهم ما كتبه وماتمثله المؤلف من كل سطر ومن كل شخصية من شخصياته ، وقد لا يعوزه تصور الجو الحقيقى للحوادث وكذا تعرف الممثلين الذين يليقون بشخصيات المؤلف . وكثير من المخرجين يخلقون من أعمال المؤلف حياة أخرى هى فى الواقع أقوى من الحياة التى تدب بين سطور كتابه وإن كنت لا أنكر أن كثيرين من المخرجين يمسخون بعض المؤلفات لأسباب شتى بعضها يخرج عن طاقة الاخراج

وبعض المؤلفين يخرجون مسرحياتهم أو أفلامهم بأنفسهم ولكن أكثر هؤلاء ليسوا فى المرتبة الأولى بين الأدباء أو المخرجين وندر من يوفق منهم فى كلتا العمليتين

محمد على ناصف



طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى ٧